المشرق

مفاخر دمشق المسيحيّة

محاضرة القاها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

في معهد الآثار العربيّة في دمشق في ٦ نيسان ١٩٢٤

مقدمة

دمشق حاضرة الشام وجنة الشرق وعروس المدن تباهي بموقعها وانهارها وحدائقها وثمارها أطيب بلاد الله واجملها كما قال شاعرها:

بلادٌ بها الحصباء درٌّ وتربُها عبيرٌ ونهرُ الشأمِ شهدٌ وسلسلُ
تسلسلَ فيها ماؤها وهو معلَقٌ وصحَّ نسيمُ الروض وهو عليلُ

فلهذه العاصمة من المفاخر ما قلَّ اجتماعهُ لسواها على قول الآخر:

مدينةٌ ليس يُضاهَى حسنُها في سائر الدنيا ولا آفاقها
قد ربَعَ الربيعُ في ربوعها وسبقت الدنيا الى اسواقها
لا تسأمُ العيونُ والانوف من رؤيتها يوماً ولا اتشاقها

فهي عريقة في القِدَم كما يدلُّ عليهِ ذكرُها في سفر التكوين على عهد ابرهيم الخليل (تك ١٤: ١٥) ثمَّ في آثار البابليين والمصريين مع اختلاف قليل في صورة اسمها الهيروغليفي والاشوري ومع اقحام راء فيهِ بالآراميَّة «دَرْمسوق» سواء كان هذا الاسم مشتقًّا من اسم بانيها كما يزعم العرب او من حُسن موقعها فكأنَّ «دمشق» مقلوبة عن «دِمَقْس» وهو الحرير والديباج اشارةً الى بساتينها وغوطتها

ومفاخر دمشق في العهد القديم متعدِّدة لا يسعنا وصفها وذلك ما دفع الامم الكبيرة من اموريين وحثيين ومصريين وكلدان ويونان ورومان قبل العرب

والاتراك على ان يطمحوا ببصرهم اليها ليستولوا عليها . وقد استقلّت مدّةً فصار ملكها الى سلالةٍ وطنيّة . وزعم البعض انّ ابرهيم الخليل عند قدومه من بلاد ما بين النهرين جلس على عرشها ردحةً من الزمن

على انّ هذه المفاخر لم يطمسها الدهر كغيرها من حواضر الشرق كبابل ومنف ونينوى وان فقدت استقلالها فقد استعاضت عنهُ بامجاد اخرى صانتها بكل حرص الى عهدنا ومن اراد تعدادها اتّسع امامهُ المجال . وكفاها عزًّا انّها عُدّت في كل اطوار التاريخ كأس مدن الشام

وقد اقتصرتُ في هذه المحاضرة على مفاخر دمشق النصرانيّة اعني منذ عهد رُسل المسيح الى عهدنا وذلك بنظر عموميّ يُلمّ بها إلماماً كما يقتضي المقام

١ اوائل النصرانيّة في دمشق

قد حظيت دمشق بنعمة الدعوة المسيحيّة بعد اورشليم(١ وقبل سواها من مدن الشام حتى انّها سبقت انطاكية نفسها التي دُعي فيها تلاميذ الرب مسيحيين اوّلاً (اعمال ١١ : ٢٠—٢٧) . ولنا على ذلك دليل جليل في ارتداد القديس بولس الذي وقع في السنة الثالثة بعد صعود الربّ وفي سنة استشهاد القديس اسطفانوس . فانّ هذا الرسول قبل ايمانهِ لم يطلب رسائل من رؤساء كهنة اليهود ليلقي القبض على المسيحيين في دمشق كما ورد في سفر الاعمال للقديس لوقا (٩ : ١—٢) الّا لعلمهِ بنموّ النصرانيّة فيها دانوا بها كما يظهر بدعوة مواطنيهم الذين حضروا اورشليم يوم العنصرة عند حلول الروح القدس على التلاميذ فاعتمدوا ثمّ رجعوا الى وطنهم فبشّروا بمجيء المسيح . وهناك لقي بولس حنانيًا الذي عمّدهُ (اعمال ٩ : ١٩) والتلاميذ الذين مكث معهم (٩ : ٢٠) . ثمّ حصل لدمشق فخرٌ آخر بأن قام بولس فيها أياماً كثيرة (٩ : ٢٣) مبشّراً بالمسيح بين يهود المدينة فتقوا عليهِ ولولا الاخوة الذين خلّصوهُ من ايديهم لكانوا قتلوهُ (٩ : ٢٥) وكانت لليهود سطوة عظيمة يبلغ عددهم في الفيحاء نحو خمسين الفاً . وآثار السور الذي دلّوهُ منهُ في سلّ لا تزال باقيةً . لكنهُ بعد سفرهِ الى انحاء

١) في تقليد المسلمين انّ السيّد المسيح دخل دمشق وانهُ على منارة جامعها الاموي سيأتي ليدين العالمين

العرب عاد وبشّر ثانيةً في الفيحاء كما اخبرنا هو في رسالته الى اهل غلاطية (١ : ١٧). وجاء في تقليد الكنيسة اليونانيّة كما ورد في كتاب منسوب الى القديس دوروثاوس(١ ان حنانيًا المذكور كان اوّل اسقف على دمشق وليس الامر بمستبعد. وقد اكتسب المسيو دي‌لوره (E. de Lorey) شكر الدمشقيين بالحفريّات الاثريّة التي باشرها سنة ١٩٢٢ قريباً من معبد القديس حنانيًا الذي للآباء الفرنسيسيين فاستخرج آثار تلك

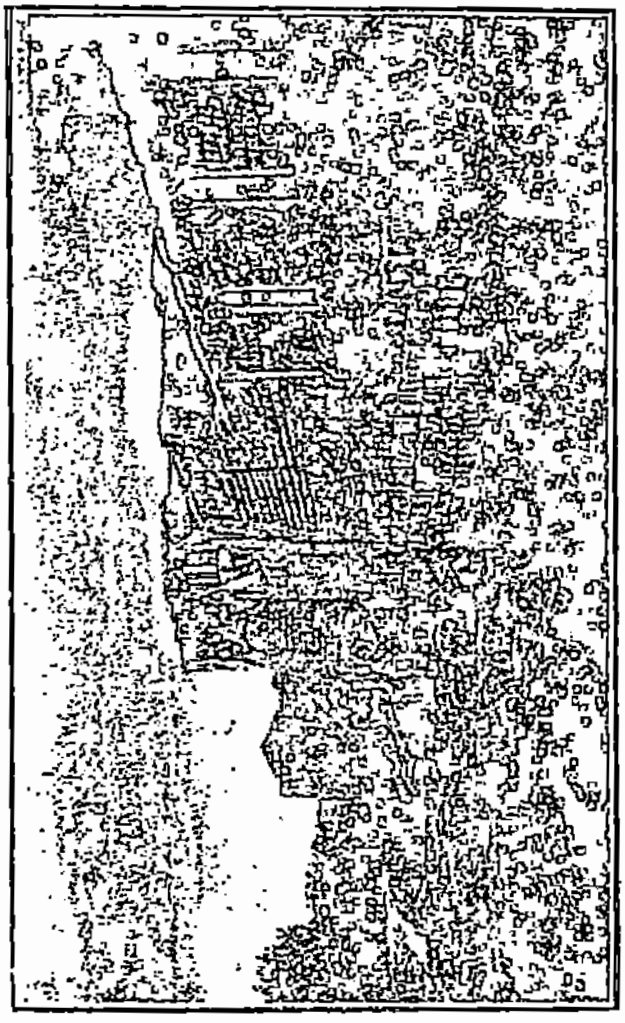

بقايا السور الذي أنزل منهُ القديس بولس

١) اطلب مجموعة الآباء اليونان لمين (Migne, PP. GG., XCII. 1061)

الكنيسة الملكيّة الراقية الى القرون الوسطى الدالّة على مقام جليل واسع الارجاء محكم الهندسة ذي عمَد ونقوش جميلة

ويُضاف الى هذا الاثر بيت يهوذا الطرسوسي قرب الباب الشرقي الذي عنده نزل ضيفاً القديس بولس يوم اقامته في دمشق (اعمال الرسل ٩ : ١١) شيَّد النصارى هناك كنيسة قديمة ذكرها كوارزميوس في القرن السابع عشر كان المسلمون حوّلوها الى مسجد وقد بقي منها قطعٌ من الفسيفساء.

لا نعرف شيئاً مما حلّ بنصارى دمشق قبل انتصار الصليب على عهد قسطنطين. ولا نزال مبالغين لو قلنا ان المسيحيين في تلك الحاضرة نالهم من الاضطهادات والمحن ما اصاب اخوتهم في انحاء سوريّة وكان في عهد القياصرة على دمشق من الحكّام الرومانيين الوثنيين رجالٌ مخلصون للدولة مطيعون للامبراطرة في أحكامهم العادلة والجائرة معاً وان كان الدهر قد أباد تلك الاثار وحرَمنا من معرفة تلك الاخبار

ومما جاء في تاريخ دمشق المدني ان ادريانوس قيصر اقام فيها مدّةً سنة ١٣٠ م ومنحها رتبة عواصم المدن الرومانيّة واضاف اليها سبتيميوس ساويرس نعمةً اخرى فنظمها في جملة المستعمرات الرومانيّة وجعلها مركزاً لولاية سوريّة فينيقية وادخل تحت حكمها كل البقاع وجهات حمص وتدمر وافامية فزادت بذلك ثروتها ونمت اعمالها. ولمّا صار الملك لديوقليسيانوس شيَّد فيها معملاً لصناعة الاسلحة التي شاع صيتُها منذ ذاك العهد. وكان للوثنيين هيكل عظيم على اسم الاله جوبيتر (المشتري) ترى حتى اليوم بعض بقايا قوسَي الانتصار المقامَين على جانبَيه الشرقي والغربي

فلا بدَّ من القول انَّ النصرانيّة لم تنطفئ جذوتها في تلك الحقبة في عاصمة الشام مع ما كان يحلّ بذويها من ضغط الحكّام عملاً باوامر امبراطرة رومية. وقد ارخى خناقهم فيلبوس العربي في اواسط القرن الثالث وهو المولود في عمّان وكان اوّل من تنصَّر من القياصرة على ما روى اوسابيوس

٢ النصرانيّة في دمشق في العهد البوزنطي

ثمّ عاد السلام الى دمشق بانتصار قسطنطين الكبير فازدهرت النصرانيّة وكثر عدد المنتمين اليها من المشركين والدليل على ذلك انّهم شيَّدوا في عهده وعهد ابنه

كنيستين ملكيّتين (باسيليقة) لاقامة الطقوس الدينيّة وكان يوسهم اسقف يُدعى مغنوس ورد اسمهُ بين آباء المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ ولم يزل حيًّا الى سنة ٣٤٠ اذ نراهُ في عداد الاساقفة الذين حضروا في تلك السنة المجمع المنعقد في انطاكية (١

وفي تلك الاثناء ضبط يوليانوس الجاحد ازمّة الملك (٣٦١–٣٦٣) فرّ بدمشق وأطنب في محاسنها في رسائلهِ لكنّهُ امتعض من ترقّي النصرانيّة في ارباعها. والمظنون انهُ هو الذي حرّك اليهود على ايقاد النار في كنيستيها المذكورتين كما اخبر القديس امبروسيوس اسقف ميلانو وكان الجاحدُ حينما يحلّ يسعى في تعزيز الوثنيّة والحطّ من قدر النصرانيّة. تشهد ايضاً على نيّاتهِ السيّئة رسائلهُ الى اهل بُصرى ليحملهم على رئيس اساقفتهم القديس طيطوس. ولم يعاقب اليهود على إثمهم فعاد النصارى بعد موتهِ الى تجديد بناء الكنيستين على نفقتهم الخاصّة

لكن ثاوضوسيوس الكبير عاضهم بعد ذلك بأن ناهض عبَدة الاصنام وحوّل كثيرًا من هياكلهم الى كنائس وهكذا فعل بهيكل جوبيتر الدمشقي فانّهُ اعطاهُ نصارى دمشق فجعلوهُ هيكلًا بهيًا على اسم القديس يوحنّا المعمدان. ولمّا تهدّم قسمٌ منهُ في عهد ارقاديوس بن ثاوضوسيوس تولّى الملك اصلاحهُ. فانكسرت بذلك شوكة الوثنيّة وارتدّ حينئذٍ كثيرون من المشركين حتى انّ المدينة بعد زمن قليل اصبحت كلّها مسيحيّة الّا يهودها الذين ثبتوا مصرّين على ضلالهم. وارتفع بذلك مقام دمشق في نظام الكنائس وكان رئيس اساقفتها تُئيان بطريرك انطاكية مقدّماً على كلّ اساقفة البطريركيّة المذكورة يُحيي في المجامع بعدهُ.. ونعرف من هؤلاء الاساقفة ثمانية خلفوا مغنوس المذكور فحضر منهم فيلبُوس مجمع القسطنطينيّة (٣٨٠) ويوحنا مجمع افسس (٤٣١) وثاودورس مجمع خلقيدونية (٤٥١) واستاتيوس مجمع قسطنطينيّة الثاني (٥٥٣) وغيرهم ممّن وصفهم حضرة الاب كيرلس شارون في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٩١٢–٩١٤)

وممّا يشهد على ترقّي النصرانيّة في عهدهم قبل ظهور العرب عدد الكنائس التي تشيّدت في تلك الاثناء.. فانّنا نشرنا في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٠٠–٨٠٣) فصلًا مهمًّا نقلناهُ عن تاريخ ابن عساكر المخطوط في مكتبة الملك الظاهر في دمشق يذكر

(١) اطلب مجموعة المجامع لماني (ج ٢ ص ١٣٠٧)

فيه خمس عشرة كنيسة من كنائس النصارى وجدها العرب عند فتحهم دمشق وصالحوا عليها اهلها مع ما جرى في بعضها من الخراب

وكانت للكنيسة الكاتدرائيّة الكبرى الامتيازات الممنوحة لأُمهات الكنائس لها الحمى او الحرَم الذي يلتجئ اليه الجناة فلا يجوز قتلهم او اذاهم طالما يأوون اليه. وقد نشر قنصل فرنسة سابقاً المسيو نويل جيرون في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧١–٧٢) صورة كتابة يونانيّة مرقومة على نصب حجري استخرجتهُ شركة الترموايّ في بعض اشغالها يستفاد منها انَّ ذاك النصب أقيم دلالةً على بعض حدود الحمى

٣ دمشق النصرانيّة في عهد بني امية

فتح العرب دمشق بعد واقعة اليرموك تحت إمرة ابي عبيدة وخالد بن الوليد في ايلول سنة ٦٣٥ وتوسَّط في الصلح بينهم وبين اهلها اسقفها الملكي واحد اعيانها وعاملها من قبل الروم المدعو منصور جدّ القديس يوحنا الدمشقيّ فأمَّن العرب الدمشقيين على ارواحهم واموالهم وكنائسهم. ويقول كتبتهم أنهم اقتسموا كنيستهم الكبرى فاخذوا لفرائضهم الدينيّة واجتماعاتهم نصفها الشرقي وتركوا النصف الآخر لاهلها. وفي قولهم هذا نظرٌ لان احد زوَّار الفرنج اسمهُ أركولف دخل دمشق ثلثين سنةً بعد الفتح العربيّ فوجد كنيسة القديس يوحنا الكبرى لم تزل كلُّها في ايدي المسيحيين. ويرتأي البرنس كايتاني (Annali dell'Islâm, III, 344-352) انَّ الرواية العربيّة عن اقتسام الكنيسة ضعيفةٌ حديثة لا سند لها وانَّها بقيت لاصحابها الى أيام الوليد

تولّى معاوية الحكم على دمشق فصارت منذ ذاك الحين مركزاً للدولة الاموّيّة التي قضت عليها الدولة العبّاسيّة بعد قرنٍ بتمّته واتّخذت بغداد كعاصمتها

وكان معاوية رجل سياسة بعيد النظر ذا عدل وانصاف فاحسن المعاملة الى النصارى واتّخذ كثيرين منهم لتدبير امور مملكته. وفي عهده وعهد خلفائه اشتهر بنو منصور وكانت أسرتهم ذائعة الصيت في انحاء الشام تقلَّد منهم البعض المراتب العالية الدينيّة والعالميّة كبطريركي اورشليم سرجيوس وايليّا في زمن ملكي يوزنطية ثاوفيلوس وباسيليوس المقدونيّ. وكان منصور ذا ثروة عظيمة ودين صادق اقامهُ هرقل حاكماً على دمشق فلم يزل محافظاً عليها بامانة الى ان ضاقت الاحوال باهلها

وفتكت بهم المجاعة وعجز الملك عن مساعدتهم فطلب الامان لاهلها كما رأيت وخلّص المدينة من القتل والنهب والحريق فنسبهُ زورًا بعض الروم الى الخيانة . وتولّى ابنهُ سَرجه او سرجيوس ديوان الخراج . قال الطبري في تاريخهِ (٢ : ٢٠٥ و ٢٢٨) انهُ «كان كاتب معاوية وصاحب امره». وقال ابو الفرج في الاغاني (١٦ : ٧٠) انهُ كان نديمًا ليزيد بن معاوية ثم كتب على الديوان لمعاوية الثاني ابن يزيد (الطبري ٢ : ٨٣٧) ثمّ جعلهُ عبد الملك بن مروان «كاتبهُ على الخراج والجند» (ابن عبد ربه ٢ : ٣٢٢) كفى بهذه الشواهد دليلًا على مقدرتهِ وعلوّ شأنهِ وحظوته لدى الخلفاء.

على انّ الله قد زادهُ نعمةً بأن رزقهُ ابنًا فاق عليهِ عزًّا اعني يوحنا الذي اختارهُ ليشرّف الكنيسة الشرقيّة بفضائلهِ السامية وعلومهِ الفريدة (١ . جاء في تقليد الكنيسة اليونانيّة انّهُ اخذ الفلسفة عن قزما راهبٍ صِقِلّي واحد أُسرى العرب اشتراه ابوهُ بمالهِ واعتقهُ وجعلهُ معلّمًا لابنهِ فاخذ عنهُ العلوم الفلسفيّة وبرع فيها ثمّ خلف اباهُ في دواوين الخلفاء فخدمهم خدمةً نصوحًا بصفة مستشار (πρωτοσύμβουλος) وهو في الوقت عينهِ يسوس اهل ملّتهِ ويحذّرهم ممّا شاع من البدع كبدعة المشيئة الواحدة في المسيح وبدعة محاربي الصور . ففي ترجمة حياة القديس التي تُعزى الى يوحنا بطريرك انطاكية في القرن العاشر (٢ انّ كتابات الدمشقي اثارت بغض ملك القسطنطينيّة لاون الايزوريّ (٧١٧–٧٤١) فبغى بتقليد خطّ يوحنا بن منصور وتزوير كتاب عن اسمهِ يدعوهُ بهِ الى فتح دمشق . فلمّا وقف عليهِ الخليفة (عمر بن عبد العزيز على ما يُظَنّ) خُدع بهِ فامر بقطع يد كاتبها المزعوم يوحنا لكنّ العذراء مريم ردّتها لهُ سالمةً لمدافعتهِ عن اكرام صورها . وكانت هذه المعجزة سببًا لاستعفاء يوحنا من خدمة الخلفاء والزهد في الدنيا بالترهّب في دير مار سابا قريبًا من اورشليم حيث توفي نحو ٧٤٩ م ونقيم قبرهُ (٣ . امّا بيتهُ في دمشق فموقعهُ على ما يُروى في التقليد في مكان دير اليسوعيين حاضرًا

١) يدعى القديس يوحنا الدمشقي في بعض الكتب بابن منصور نسبة الى جدّهِ

٢) راجع ايضًا الترجمة العربيّة الاصليّة التي نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا سنة ١٩١٢

٣) اطلب مقالة حسنة في ترجمة القديس للاب الصعودي جوجي (M. Jugie) في اصداء الشرق Echos d'Orient, *Avril-Juin*, 1924

وقد ابقى لنا القديس يوحنا الدمشقي كنوزاً ادبيّة ودينيّة لا تُثمَّن فانّهُ اجاد في كلّ ما كتب نثراً ونظماً في موادّ فلسفيّة ولاهوتيّة وجدليّة وطقسيّة استحقّ بها ان يُنظم في عداد ملافنة الكنيستين الشرقيّة والغربيّة وقد نُقلت تآليفهُ الى لغات مختلفة من جملتها اللغة العربيّة (١ . ويعتبرهُ اللاهوتيّون الغربيّون كممهّد لطريقة التعليم اللاهوتي المعروفة بالمدرسيّة (Théologie scholastique) التي برع فيها بعد ذلك القديس توما الاكويني . ولهُ الاناشيد والتسابيح الطقسيّة التي تُتلى الى يومنا في الكنيسة اليونانيّة

وقد اثّرت تعاليم القديس يوحنا الدمشقي في بعض معاصريهِ المعدودين كتلامذته منهم قزما الذي ترهّب معهُ في دير القديس سابا ثمّ صار اسقفاً على مدينة ميوما . ومنهم ثاودورس ابو قرّة اللاهوتيّ الكبير اسقف حرّان صاحب التآليف المتعدّدة في المعتقدات النصرانيّة والمدافعة عنها ضد الهراطقة وغير المؤمنين في اليونانيّة والعربيّة والسريانيّة (٢

وقبل يوحنّا الدمشقي بعدّة سنين اشتهر رجل آخر تفتخر بهِ الفيحاء نعني بهِ القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم فهذا كان مولدهُ في دمشق ثمّ ترهّب في القدس في دير القديس ثاودوسيوس ثمّ اقيم بطريركاً على اورشليم وفي ايّامهِ دخل العرب المدينة المقدّسة وباشارتهِ عدلَ عمر بن الخطّاب عن كنيسة القيامة الى مكان المسجد الاقصى الذي ابتناهُ عبد الملك بن مروان . توفي القديس صفرونيوس سنة ٦٣٨ ولهُ المؤلفات الجليلة من مواعظ واناشيد دينيّة ولاسيما تفنيدهُ لبدعة المشيئة الواحدة مجاراه في ذلك القديس يوحنّا الدمشقي (٣ والقديس مكسيموس المعترف (المتوفّى سنة ٦٦٢) (٤

وليس افتخار دمشق المسيحيّة بقديس آخر دون اعتزازها بالمشاهير السابق ذكرهم ألا وهو القديس اندراوس رئيس اساقفة جزيرة كريت . ولد في دمشق ودرس ثم ترهّب في القدس واقام مدّةً في القسطنطينيّة ثمّ دُعي الى رعاية كنيسة كريت فساسها

---

١) اطلب كتابنا «المخطوطات العربيّة لكنيسة النصرانيّة» (ص ٢١٧)

٢) اطلبهُ ايضاً (ص ٢٣-٢٤)

٣) الكتاب عينهُ (ص ١٢٤-١٢٥) ٤) الكتاب المذكور (ص ٢٦٦-١٦٧)

بكل حكمة وتوفي سنة ٧٢٠ وقيل ٧٢٣ تآليفهُ ايضاً كتآليف القديس صفرونيوس منها ميامر ومنها تسابيح دينيَّة ومنها جدال لتربيت تعليم القائلين بمشيئة واحدة في المسيح

وكانت كنيسة دمشق راتعةً في بحبوحة السلام في أيام الامويين الاوَّلين يمارسون فرائض دينهم بحرّية يشهد على ذلك ما نالهُ الاخطل الشاعر النصرانيّ الكبير من الحظوة في مجالس خلفائهم يدخل عليهم بغير اذن وفي عنقهِ سلسلةٌ فيها صليب ذهب. وبلغ من الزلفة لدى عبد الملك بن مروان الى ان اطاف بهِ في شوارع دمشق ومولاهُ يصرخ امامهُ: هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعر العرب (الاغاني ٧: ١٣٧) وكان الاخطل اذا أتى الشام نزل ضيفاً مكرَّماً في بيت سرجون بن منصور (١٧٤)

وممَّن قصد الى الشام وامتدح خلفاءها من بني اميَّة من النصارى شاعران سبق لنا ذكر ترجمتها (ص ٣٧٢ و٤٤٩ الخ) نزيد بهما اعشى بني تغلب ونابغة بني شيبان فحظيا لديهم ونالا نصيباً حسناً من جوائزهم . ومثلهما القطامي التغلبيّ أمَّ دمشق وعرف فضلهُ وجودة قريحتهِ عبدُ الملك بن مروان وعبد الواحد بن سليمان (الاغاني ٢٠: ١١٨—١١٩ و١٣١)

واشتهر من غير الشعراء في دولة بني اميَّة بعض الاطبَّاء الذين ترجمهم جمال الدين القفطي وابن ابي اصيبعة وغيرهما قال ابن ابي اصيبعة (١: ١١٦): «كان ابن اثال طبيباً متقدماً من الاطباء المتميّزين في دمشق نصرانيّ المذهب والَّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليهِ وكان كثير الاعتقاد لهُ والاعتماد فيهِ والمحادثة معهُ ليلًا ونهاراً وكان ابن اثال خبيراً بالادوية المفردة والمركَّبة» ثمَّ ادَّعى ان معاوية استعان بهِ لتسميم بعض اعدائهِ ولا نعلم ما في هذا الامر من الصحة

وكذلك افاض في ذكر طبيبين آخرين من نصارى دمشق (١١٩—١٢١) اوَّلهما ابو الحكم قال ايضاً انهُ «كان عالماً بانواع العلاج والادوية والهُ اعمال مذكورة ووصفات مشهورة وكان يستطبّهُ معاوية بن ابي سفيان ويعتمد عليهِ . . وعُمّر طويلًا حتى تجاوز المائة سنة». ثمَّ ذكر ابنهُ حكماً الدمشقي قال «انهُ كان يلحق بابيهِ في معرفتهِ المداواة والاعمال الطبيَّة والصفات البدنيَّة وكان مقيماً بدمشق وعُمّر ايضاً عمراً طويلًا»

ومما بقي من آثار النصرانيَّة في عهد الامويين كتابات ومقاطيع مختلفة منها يونانيَّة ومنها آراميَّة وسريانيَّة مكتوبة على رقّ بينها قطع من الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث وشذرات دينيَّة وادبيَّة وقصص رهبانيَّة كانت مكدَّسة في قبَّة على سوار وبسط الجامع الاموي وُجدت في جملتها مزامير عربيَّة مكتوبة بحرف يوناني يُستدلّ بها على لهجة نصارى تلك الاجيال القديمة. ومعظمها اليوم في مكتبة برلين اهداها السلطان عبد الحميد اصحابهُ الالمان (راجع المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٩٦١—٩٦٢)

٤ نصارى دمشق والوليد بن عبد الملك

وكأنَّ هذه الحالة من الهناء والطمأنينة قد كادت تبطل في أيام الوليد بن عبد الملك (٧٠٥- ٧١٥) فانَّهُ اغتصب النصارى على كنيستهم الكبرى فحوّلها الى مسجد بمساعدة مائة صانع من بُناة الروم (الطبري ٢ : ١١٩٤ وتاريخ ابن عساكر ١ : ٢٠٢). وهم الذين زيَّنوا حيطانها بالفسيفساء. قال المقدسيّ من كتبة القرن العاشر في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٥٧):

« وحيطانهُ (اي الجامع الامويّ) الى قامتين بالرخام المجزَّع ثمّ الى السقف بالفسيفساء الملوّنة في المذهَّبة بصور اشجار وامصار وبلدان وكتابات على غاية الحسن والدقَّة ولطافة الصنعة وقلَّ شجرةٌ او بلدٌ مذكور الَّا وقد مُثِّل على تلك الحيطان وطُليت رؤوس الاعمدة بالذهب وقناطر الاروقة كلُّها مرصَّعة بالفسيفساء »

وقد ظهر كثير من آثار تلك الفسيفساء العجيبة في هذه السنين الاخيرة في مصلَّب الجامع وفي قناطر باب البريد وفي الكوى والشبابيك التي تعلو فوق باب الجامع الاكبر على قناطرها واطرافها وكانت تلك الاعمال قد طُمست بحريق الجامع في عهد تيمورلنك وبما طُليَت بهِ من الملاط والكلس فلمَّا نُظفت وغُسّلت سنة ١٩١١ ظهرت بكل بهائها وزهاء الوانها (المشرق ١٤ [١٩١١] : ٦٣٩) فشهدت لبُنانها النصارى بالبراعة في اصطناعها وتنسيقها

بل لا يزال على بعض اطرافها الى يومنا كتابات يونانيَّة تدلُّ على اصل الكنيسة قبل تحويلها الى جامع. منها الكتابة التي فوق مدخل الباب الجنوبيّ التي تعريبها « انَّ ملكوتك ايها المسيح هو ملكوت جميع الدهور وسلطانك في كل جيل فجيل » (المزمور ١٤٤ : ١٣). ومنها الكتابة التي اكتشفها المسيو دوسو (R. Dussaud)

تحتوي آية اخرى يونانيّة من المزامير (٨٨: ٨) : « انّ الله رهيب في مجلس القديسين جدًّا ومهيب عند جميع الذين حوله »

ومن آثار تشدُّد الوليد على النصارى ما ورد في اخبار رئيس اساقفة دمشق (١ المدعو بطرس كان هذا تصدّى للشيعة المانوية وجاهر بايمانه في مجلس الوليد فامر الخليفة بقطع لسانه ثمّ نفاهُ الى جهات اليمن فردّ الله عليه بمقولهِ واخذ ينطق بطلاقة ويصرّح بايمانه فامر الوليد بقتله

وقد جاء في اعمال القديسين لجماعة البولنديين في يومي ١٩ شباط و ١٤ آذار ذكر شهداء آخرين قُتلوا في عهد الوليد احدهم المدعو بطرس من مَيُومة قُتل في الفيحاء لدعوته العرب الى دينهِ والآخرون قُتلوا في حرّان كان زعيمهم استاثيوس البطريق

وقد مرَّ لنا في المشرق في عدد آذار (١٧٨—١٨١) ذكر شملة التغلبي الذي حاول الوليد (على الارجح) ان يردّهُ عن النصرانيّة فأبى وامر الخليفة بجزّ قطعةٍ من لحمهِ شُويت فغُصب على اكلها. ولذلك ايضاً نسبنا الى الوليد (ص ٦١٧) اضطرارهُ للنابغة الشيباني الشاعر النصراني ان يدين بالاسلام

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار النصارى في دمشق على عهد الدولة الاموية

٥ دمشق النصرانية في عهد بني عباس وممالك مصر

كان انتقال كرسي الدولة من دمشق الى بغداد بفوز بني عباس ضربةً أليمة على سوريّة عموماً وعلى الفيحاء خصوصاً فاصبحت هذه المدينة خاملةً لا نكاد نعرف شيئاً من اخبارها الّا ما حصل من المنازعات بسببها فحكمتها اوّلاً حاكم من بني العباس ثمّ صارت في حوزة الطولونيين والاخشيديين والسلجوقيين ثمّ الفاطميين والايوبيين وممالك مصر وتوالت النكبات عليها باختلاف هذه الدول وما اسعرتهُ من الحروب لاقتنائها وقد نال النصارى قسمٌ كبير من تلك البلايا. فخربت كنائسهم او أُحرقت او حُوّلت الى مساجد كما ورد في تاريخ ابن عساكر (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٨٠٠—٨٣٠) وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسيّ (ص ٦) وروى ابن بطريق (٢: ٨٣) في تاريخ سنة ٣١٤ هـ (٩٢٦م) : « انّ المسلمين ثاروا فهدموا كنيسة مار تقريم الكاثوليكيّة وكانت كنيسة عظيمة حسنة أُنفق فيها مائتا الف دينار ونُهب ما كان

١) اطلب اعمال الآباء البولنديين (Migne, P. G., CVIII, 840-841)

فيها من ابنية وحلي وغير ذلك ونُهبت عدّة ديارات وخاصّة دير النساء الذي كان بجانب الكنيسة وشعثوا كنائس كثيرة للملكيّة وهدموا كنيسة النسطوريّة »

ثمّ عاد النصارى فجدّدوا بناءها ولمّا تولى الامر الحاكم بامر الله امرَ بهدمها. قال يحيى بن سعيد الانطاكي (ص ١٩٥): كتب (الحاكم) الى دمشق بهدم كنيسة السيدة القاتوليكي وهي كبيرة حسنة فهُدمت » وفي تاريخ البطريرك مكاريوس ان اناساً من نصارى دمشق خرجوا الى بغداد واستغاثوا بالخليفة المقتدر فارسل الى نائبه بالشام واعاد بناء الكنائس المهدومة. وفي ايّامه تشتّت شمل نصارى الشام. قال ابن سعيد في تاريخ سنة ٤٠٤ (١٠١٤ م) يذكر امارة بني الجرّاح في دمشق : « وعظمت مصادراتهم للناس مرّة بعد اخرى وتعسّفهم ايّاهم فهرب من النصارى المقيمين بالشام خلقٌ كثير وتوجّه جميعهم الى بلاد الروم وقصد اكثرهم اللاذقيّة وانطاكية وقطنوها »

وتغرّق ايضاً اساقفة دمشق الملكيّون وقد روى القديس الكرديناال بطرس دميان خبر احدهم المدعو سرجيوس قال انهُ خرج من دمشق بعد فتحها في عهد الدولة الفاطميّة سنة ٩٧٤ م وجاء شريداً غريباً الى رومية ونال من جود البابا بندكتوس السابع ان يُنشئ ديراً في رومية عند كنيستي القديسين بونيفاسيوس وألكسيوس وبقي هناك الى موته (المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٩١٥)

وسعى الصليبيون غير مرّة في فتح دمشق لكنّهم لم يقووا عليها وانّما ضربوا عليها الجزية مدّة. ودخلها بعد زمن قليل نور الدين ابن زنكي وخلفهُ عليها صلاح الدين الأيوبي وسلالتهُ من بعده. وفي ايّام السلطان الاشرف موسى سنة ١٢٣٣ التمس الحبر الاعظم غريغوريوس التاسع بان يسكن الرهبان الفرنسيّون في دمشق لخدمة النصارى

وفتح التتر دمشق سنة ١٢٦٠ بالامان فاكرموا النصارى ولمّا خرجوا ثار عليهم المسلمون (٧٤٠ هـ) ونهبوا بيوتهم وهدموا كنيستهم. واصاب نصارى دمشق محن كثيرة في ايّام ممالك مصر. ففي ايّام السلطان قلاوون قُتل في سبيل الايمان مرسلان من رهبان القديس فرنسيس. وفي زمن الملك الناصر سنة ٧٠٠ قُضي على نصارى دمشق بان يعتمّوا بعمائم سوداء ويخضعوا لاوامر مُذلّة. وفي ايّامه ايضاً اتّهموهم بحرق الجامع الاموي فقتلوا البعض وعذّبوا البعض وغرّموهم اموالاً وافرة. واستشهد راهبان آخران من الفرنسيين. هذا فضلاً عمّا ذاقوهُ من المرائر مع مواطنيهم

المسلمين عند دخول تيمورلنك والنزول عاصمة الشام وامره بنهبها وحريقها وإعمال السيف في اهلها وجلاء صَنعتها عنها

وممَّن يذكرهم التاريخ من افاضل نصارى دمشق في أيام الدول المذكورة بعض الاطباء ذوي المهارة في العلاج . نبغ منهم في عهد الدولة العباسيَّة عيسى بن حكم الدمشقيّ . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١٢٠) : «هو المشهور بمسيح صاحب الكنَّاش الكبير الذي يُعرف به وينسب اليه» وذكر معالجتهُ لغضيض امّ ولـد الرشيد وقال عنهُ « انهُ كان يسلك طريق الرهبان ولا يحمد شيئاً مما يزيد في الباه ويذكر ان ذلك يُتلف الابدان ويذهب الانفس»

وممَّن ذكرهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة من الاطباء النصارى ابو الفرج جرجس اليبرودي من نصارى اليعاقبة (٢ : ١٤١) اصاب في دمشق سمعة واسعة وثروةً طائلة بمعالجاتهِ في القرن الخامس للهجرة . وزاد عليهِ شهرةً في دمشق موفَّق الـدين بن المطران(٢ : ١٧٥) لولا انَّهُ عدل الى الاسلام . ومن مشاهيرهم ابو النجم بن ابي غالب النصرانيّ اخذ الطبّ عن اطباء دمشق وفيهـا توفي سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م) بعد ان خدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي عندهُ . كما خدمهُ طبيب آخر اسمهُ ابو الفرج النصراني كان متميِّزًا في زمانهِ

وفي دمشق ايضاً اشتهر موفَّق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني الملكيّ من أعرف الناس بكتب جالينوس كان مولدهُ في القدس ولازم بها رجلًا فاضلًا وفيلسوفاً راهباً خبيراً بالعلم الطبيعي متقناً للهندسة وعلم الحساب والفلـك ثم قصد دمشق وخدم الملك المعظَّم عيسى بن ابي بكر بن أيوب الذي كان يعتمد عليهِ في كثير من الآراء الطبيَّة وغيرها . قال ابن ابي اصيبعة (٢ : ٢١٥) وقصد الملك المعظَّم ان يولّيـهُ بعض تدبير دولتهِ . . . وكان يعتقدهُ ويكرمهُ غاية الاكرام ويستصحبهُ في اسفارهِ معهُ في محفَّة . توفي بدمشق في عيد فصح النصارى سنة ٦٢٥ (١٢٢٨م) وبها توفي ابنهُ سديد الدين ابو منصور وكان خدم الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظَّم عيسى وكان مكيناً عندهُ (٢ : ٢١٦) . وفي دمشق ايضاً توفي ابن القفّ الطبيب الشهير (٦٨٥هـ)

٦ دمشق النصرانيّة في عهد بني عثمان الى يومنا

دخلت سوريَّة في حكم بني عثمان بعد انتصار السلطان سليم الاوَّل في موقعـة

مرج دابق على قانصوه سلطان مصر سنة ١٥١٥ وقتل ابنه الملك الصالح طومان باي سنة ١٥١٦ فحظي النصارى ببعض الراحة . وكان قبل ذلك بطريرك الروم الانطاكي يوخوميوس في القسم الثاني من القرن الرابع عشر رأى ان ينقل كرسي البطريركيَّة الى دمشق لما كان اصاب انطاكية من الطوارئ والنكبات . وكان مع وجود البطريرك في النيحاء مطارنة على القلاية (اطلب المشرق ١٢[١٩٠٩]: ٩١٦–٩١٧) وكان في دمشق ما عدا الملكيين قومٌ من الوارنة ورد ذكرهم في اخبار السيَّاح ورسائل المرسلين

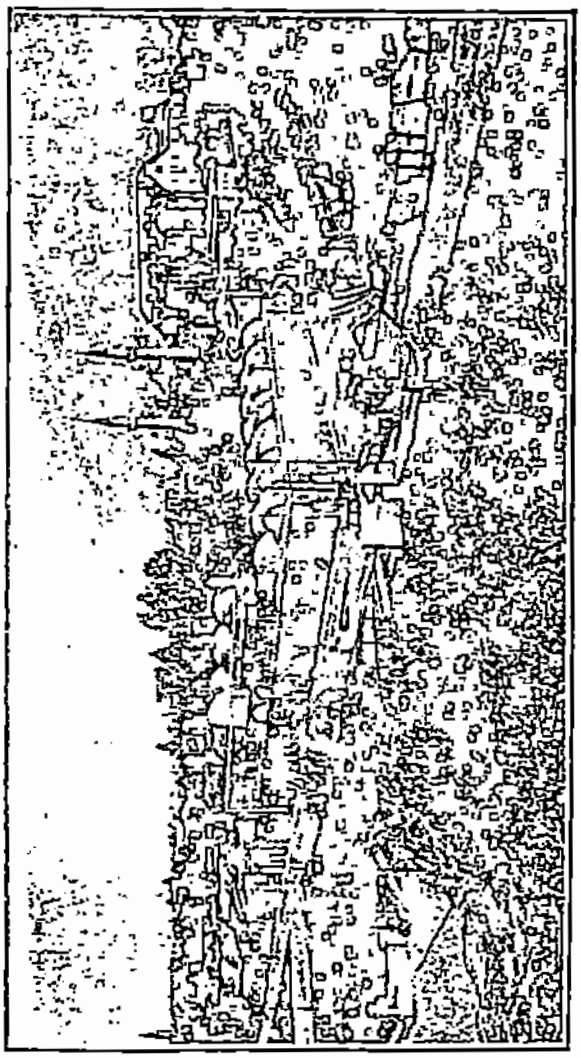

مدخل دمشق

لهم فيها كنيسة صغيرة يخدمها كاهن عالميّ ولا اسقف عليهم . وقد نشر جناب الكاتب المدقق الشيخ سليم الدحداح سلسلة اساقفتهم في المشرق(٧ [١٩٠٤] : ٧٤٨—٧٥٥) اوّلهم المطران انطون سنة ١٥٢٧ وآخرهم سيادة المطران الحالي بشارة الشمالي ولم يسكنوا دمشق

وفي العهد العثماني دخل المرسلون الكبوشيُّون واليسوعيُّون دمشق ليخدموا فيها النصارى مع الآباء الفرنسيسيين فاحرزت النصرانيَّة وخصوصاً الكثلكة بهم رونقاً جديداً . وكان دخول اليسوعيين الفيحاء برفقة البطريرك افتيميوس الحموي آتياً من حلب سنة ١٦٤٣ الى عاصمة الشام ليتبوأ السدَّة البطريركيَّة وكان عرَّفهم حقَّ المعرفة في الشهباء ففتح الاب جيروم كوريو باغرانهِ مدرسةً علَّم فيها الآداب الكنسيَّة والطقوس البيعيَّة وشرح اعمال آباء اليونان فتقاطر اليهِ الطلبة حتى الاكليرس والكهنة . فاضحوا خميرة الروم الملكيين المتحدين مع رومية . وكان اخوتهُ المرسلون يجارونهُ في الاعمال الرسوليَّة كالتبشير وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين والاسرى والعبيد فمات منهم خمسة في خدمة المطعونين . وكذلك تعزَّزت الكثلكة بالمرسلين الكبوشيين حتى بلغ في دمشق عدد المنتمين الى الكنيسة بضعة آلاف . على انَّ نجاحهم هذا كان كحصاد لما زرعوهُ بالعناء والدموع فانَّ رسائلهم المخطوطة تنبئنا بما قاسوهُ من المشقَّات من قبل الاتراك واعداء الكثلكة فتارةً كانوا ينهبون اديارهم وتارة يطالبونهم بالمرتبات وحيناً يلقونهم في السجون ويغلّونهم بالحديد ويضربونهم بالعصيّ

وقد زادت هذه المصادرات بعد ان اختار لهم الكاثوليك بطريركاً مستقلاً عن بطريرك الفنار خاضعاً لإمام الاحبار نعني بهِ كيرلُّس طاناس فناصبهُ ساوتر الصاقزلي وهيَّج عليهِ وعلى الحزب الكاثوليكي عمَّال الدولة فذاقوا من جرَّاء ذلك ضروب الاوجاع والبلايا ومنهم من ماتوا شهداء ايمانهم . ولم تنتهِ تلك الاضطهادات والمظالم الَّا في أيام الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم لما حرَّر طائفتهُ من نير البطريركيَّة المسكونيَّة

دخل القرن التاسع عشر وامور النصارى في الشام باسوإ حال لنا على ما تكبَّدوهُ من المحن واصناف البلايا شاهدٌ عياني وهو ميخائيل الدمشقي الذي كتب تاريخ حوادث الشام ولبنان من السنة ١٧٨٢ الى ١٨٤١ وهو التاريخ البديع الذي

نشرهُ حضرة الاب لويس معلوف عن نسخة لندن وفيهِ من التفاصيل ما لا يدع ريباً في صحَّة روايتهِ عن فظائع عمَّال الدولة وبطاركة الروم في حقّ الكاثوليك عموماً وفي المرسلين فيغنينا عن المراجعة مع اضافة ما حدث بعد ذلك في السنة ١٨٦٠ من المذابح والنهب والسلب والحريق في القيحا. وفي لبنان فتضرب الصفح عن ذكرها لشهرتها

ومع هذه المصائب الحالَّة بالنصارى نبغ بينهم رجال فضل واكثرهم من الكاثوليك كميخائيل البحري وبنيهِ عبُّود وجرمانوس وحنا الذين خدموا الدولة بصفة كتَّاب ومدبّري امور وشيَّدوا كنيسةً في دمشق لبني ملَّتهم (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٩–١٢) وكميخائيل الصبَّاغ الذي تخرَّج على الآداب في دمشق قبل ان يهاجر الى باريس ويجاري فيها المستشرقين بمصنفاتهِ من جملتها تاريخ لبلاد الشام اخذتهُ يد الضياع

ولاح بعد ذلك لنصارى دمشق بارقُ أمل في تحسين احوالهم بتوسّط الدول الاوربيَّة وخصوصاً فرنسة فنالوا قسماً من الحرّيَّة والامان تمكَّنوا بهما من اصلاح امورهم الماديَّة والادبيَّة ساعدهم على ذلك اكليروسهم الفاضل والرهبان المرسلون احسن مساعدة ففُتحت المدارس الزاهرة وشُيّدت الكنائس البديعة وأُنشئت المستشفيات والملاجئ وتأسَّست الجمعيَّات الخيريَّة فبلغت النصرانيَّة في هذه الاعوام الاخيرة رقياً لم تعرفهُ في القرون السابقة. ولكلّ طائفة أُسر واعمال شريفة تنطق بفضلها. واشتهر كثيرون بالصنائع كتطعيم الخشب والحفر على النحاس يُشار اليهم بالبنان كآل النعسان وآل البيطار

وكان للاكليروس السهمُ الأوفى في تنظيم امور ملليهم وتدبيرها ونجاحها نكتفي بالاشارة الى البعض منهم كالسيد البطريرك غريغوريوس يوسف والسيد بولس مسدّيه بين الروم الكاثوليك وكالسيد اقليميس داود من السريان الكاثوليك والخوري موسى كرم من الموارنة وعضدهم في ترقية ملليهم رجال افاضل من بيت بولاد وصبَّاغ وسبو في وكحيل وغرَّة وعنحوري وغيرهم ممَّن تنطق الالسنة بمآثرهم ويقرُّ الجميع بفضلهم هذا ما عدا قوماً من الاحياء المرزوقين الذين يسيرون على آثار اسلافهم ويشرّفون دينهم بتقواهم ومبرّاتهم وهم لفرنسة في انتدابها على الشام خير مسعف لتحقيق حسن نيَّاتها وتأييد طيّب مساعيها في خدمة وطنهم جازاهم الله خيراً

ثمرات الاوراق : فكاهات العرب

منقولة عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية

في مكتبتنا الشرقية مخطوطات ادبية عديدة بينها فصول فكاهية اخترنا منها بعض قصصها ترويحاً لنفوس قرائنا ل. ش

١ ورد في كتاب مخطوط لابن الجوزي ما نصّهُ قال : أجيز ابن حيُّوس على قصيدةٍ عملها الفَ دينار . فتدامع الشعراء وحضر منهم جماعة وعرض كلٌ منهم قصيدتهُ فلم يُعطَوا شيئاً . فكتب واحد منهم الى الممدوح :

على بابك المنصور منّا عصابةٌ ... مقاليسُ فانظُرْ في امور المقاليس
وقد رضيت هذي العصابةُ كلُّها ... بعُشر الذي أعطيتَهُ لابن حَيُّوس
وما بيننا هذا التفاوتُ كلُّهُ ... ولكن سعيدٌ مَن يُقاس بنحوس

فضحك واجازهم

٢ أتى قومٌ عباديا فقالوا : نحبُّ ان تُسلِفَ فلاناً الف درهم وتؤخرهُ سنةً . فقال : هاتانِ حاجتان سأقضي لكم احداهما واذا فعلتُ ذلك فقد أنصفتُ . أمّا الدراهم فلا تسهُلُ عليَّ ولكني اؤخرهُ ستين

٣ قيل لاعرابيّ : ما اسمُ المرَق عندكم ؟ قال : السخينُ . قالوا : فاذا بَرَدَ ؟ قال : لا ندَعهُ يبرد

٤ قال ابو اسحاق : قلتُ لخنجير توز : لِمَ عدتَني ان تجيءَ ارتفاعَ النهار فجئتني صلاةَ العصر . قال : جئتُكَ ارتفاعَ الشيءِ

٥ روى الجاحظ قال : مرَّ ابن ابي علقمة بمجلس بني ناجية فكبا حمارهُ لوجهه فضحكوا منهُ فقال : ما يُضحككم ؟ رأى وجوه قريش فسجدَ

٦ مات لابن مُقرِّن غلام فحفر لهُ اعرابيّ قبرَهُ بدرهمَيْن وذلك في بعض الطواعين فلمّا اعطوهُ الدرهمين قال : دعوهما حتى يجتمع لي عندكم ثمن ثوب

٧ قال ابو الحسن : جاء رجلٌ الى رجلٍ من الوجوه فقال : انا جارُك وقد مات

اخي فلان فسُرَّ له بكفن . قال : لا والله ما عندي اليوم شيء ولكن تعهَّدنا وتعود بعد أيام فسيكون الذي تحبّ . قال : اصلحك الله فنُسَلِّفُهُ الى ان يتيسَّر عندك شيء

٨ قيل لابن الاصبغ بن ربعيّ : اما تسمع العدوّ وما يصنعون في البحر لمَ لا تخرج لقتالهم ؟ قال : انا لا اعرفهم ولا يعرفوني فكيف أقاتلهم ؟

٩ افترى رجلٌ أصلع على ديوجانس فأفرَطَ فقال : اني لأغبطُ شعرَ رأسك اذ هرَبَ عن جمجمتكَ هذه الرديئة

١٠ قيل لبعضهم في الحرب : لا تهرب يغضب عليك الامير . فقال : غضبهُ عليَّ وانا حيّ احبُّ اليَّ من رضاهُ عني وانا ميّت

١١ واخبر ابو عبيدة قال : كان بالبصرة رجلٌ من موالي بني سعد يقال لهُ ثبيت وكان كثير الصلاة صالحاً وكانت الاعراب تنزل عليه . فنزل بهِ قومٌ منهم ليلةً فلم يُعشّهم وقام يصلّي فقال رجلٌ منهم :

تَجُزْ يا ثبيتُ عليكَ لحمٌ احبُّ اليَّ ولو تُلي القرانُ
ثبيتُ تُدَهْوِرُ القرآنَ حولي كأنك عند رأسي عُقْربانُ
فلو اطعمتَني خبزاً ولحماً حمِدْتُكَ والطعام لهُ مكانُ

روى القالي في اماليهِ هذه القصة وقال : اختلفوا في العقربان فقال قوم : هو ذكر العقارب وقال قوم : هو دَخَّال الأذن وهو الوجه

١٢ سأل اللغويُّ ثعلب أبا العيز : أَلظبيُ معرفةٌ ام نكرة ؟ فقال : ان كان شويًّا على المائدة فهو معرفة وان كان في الصحراء يعدو فهو نكرة

١٣ وعد ابن المدبّر ابا العيناء بغلًا فلقيَهُ بعد ذلك راكباً حمارًا فقال لهُ : كيف اصبحتَ يا ابا عبدالله . قال : على حمارٍ اعزَّك الله . ففطن ابن المدبر وقال : تُمي ان شاء الله على بغلٍ . ثم ارسل لهُ البغل

١٤ قيل لزاهدٍ : ما بالك تُدمِنُ المشي على عصاً ولستَ بكبير ولا مريض . قال : لا ولكني اعلم اني مسافر وانَّ الدنيا دارُ قُلعة وانَّ العصا من آلة السفر

١٥ تزوَّج مُغَنٍّ بناتحةٍ فقال لها : انَّما الدنيا فرحٌ وحزن وقد اخذنا بطرفي ذلك . ان كان فرح دعَوْتي او كان حزن دعَوتكِ

١٦ دخل لصٌّ على ابن ابي قيس ففتَّش البيت فلم يجد شيئاً . فلما اراد ان يخرج

قال ابو قيس: أغلق الباب خلفك. قال: من كثرة ما اخذتُ حتى تستخدمني

١٧ وروى الحصري في كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر: كان جامع بن وَهب الصيدلانيّ اكثر الناس ديناً واعظمهم غفلةً. اشترى مرّة ثلجاً كثيراً فقيل له. انهُ كثير. فقال: أُريد ان امصّهُ وارمي بثفْلهِ

١٨ (قال) ودخل بستانًا له فقال لوكيلهِ: اغرس لي بصلًا بجلّ فانّهُ نافع لاصحاب الصفراء

١٩ (قال) وسقطت ابنتهُ في بئر فقال: يا بنيّة لا تبرحي حتى اجيء بمن يُخرجك

٢٠ وروى ابن الكلبيّ انهُ كان بالمدينة مخنّث يقال لهُ النفّاشيّ فقيل لعمر ابن الخطّاب انهُ لا يقرأ من القرآن شيئاً فبعث اليهِ فاستقراهُ أُمّ الكتاب. فقال: والله ما اعرف اقرأ بَناتها فكيف الامّ. فقال عمر: انهزأ بالقرآن لا امّ لك. فامر بضربهِ واسلمهُ الى الكتّاب فمكث فيهِ حيناً ثمّ هرب وانشأ يقول:

اتيتُ مهاجرين فعلّموني ثلثَ اسطرٍ متشابهاتِ
كتابَ الله في رقٍّ صحيحٍ وآياتِ القُرانِ مفصّلاتِ
وخطّوا لي ابا جادٍ وقالوا تعلّم سَعْفَصاً وقُرَيْشياتِ
وما انا والكتابُ والتهجّي وما حظُّ البنينَ من البناتِ

٢١ من ظريف ما قال كشاجم في طبيب نصرانيّ يدعى عيسى بن نوح:

عيسى الطبيبُ ترفّقْ فانتَ طوفانُ نوحِ
يأبى عِلاجُك الّا فراقَ جسمٍ لروحِ
شتّان ما بين عيسى وبين عيسى المسيحِ
هذاك يُحيي لميتٍ وذا يميتُ الصحيحِ

٢٢ وكان ببغداد طبيب اسمهُ النعمان لا ينجح مريض على يديهِ فقال فيهِ بعض الشعراء مضمّناً بيتاً لطَرَفة:

اقولُ لنعمانٍ وقد ساقَ طبّهُ نفوساً نفيساتٍ الى داخل الارضِ
ابا منذرٍ أفْنَيْتَ فاستبقِ بعضنا حنانَيْكَ بعضُ الشرّ اهونُ من بعضِ

٢٣ دخل طفيليّ على اهل البصرة في طعامهم فاستنكفوا منهُ فقال بعضهم:

يمشي الى المدْماة مستَنْفِرًا مشيَ ابي الحارثِ ليثِ العَرينْ

لم ترَ عيني آكلاً مثلهُ يأكلُ بالبُسرى مماً واليمينْ
تلعبُ في القصعةِ اطرافهُ لُعبَ اخي الشطرنجِ بالشاهِ بينْ

٢٤ واخبر ابو علي البصير انهُ نظر الى خُشاخِش المديني يوم عيد الفطر وهو فوق تلّ يصيح صياحاً شديداً فقيل لهُ: ما هذا؟ قال أُنبرُ في قفا شهر رمضان. فغاب ابو علي أيّاماً ثمَّ جاء فانشد:

اقولُ لصاحبيَّ وقد رأينا هلالَ الفطرِ في خلَلِ الغمامِ
غداً نغدو الى ما قد ظَمِئنا اليهِ من الملاهي والمُدامِ
ونكسرُ سكرةً شنعاء جهرًا ونُنبرُ في قفا شهر الصيامِ

٢٥ اخبر الرياشي قال: كان ذئبٌ يأتي اهل قُرّان من بلاد اليمامة فيؤذيهم فارهم فجاءهم صائد فقالوا لهُ: انَّ ها هنا ذئباً قد لقينا منهُ التباريح يأكلُ شاءنا فان انتَ قتلتهُ فلك من كلّ قطيعٍ شاةٌ. فذهب فحبَلهُ ثمَّ اتاهم بهِ يقودهُ حتى وقفهم عليهِ ثمَّ قال: هذا ذيبكم الذي أكل شاءكم فأعطوني ما شرطتم. فجعلوا يتضاحكون منهُ وقالوا لهُ: كُلْ ذئبك. فأحسَّ منهم بالغدر فقطع حبل الذئب فوثب ناجياً وقال الصائد: ادركوا ذئبكم وانشد:

علّقتُ في الذئبِ حبلاً ثمَّ قلتُ لهُ إلحق بقومك واسلَمْ ايها الذئبُ
ان كنتَ من اهل قُرّانٍ فَمُد لهمُ او اهلِ كُثرَةَ فاذهَبْ غير مطلوبِ
المُخلِفين بما قالوا وما وعدوا وكلُّ ما لفظ الانسانُ مكتوبُ
سألتهُ في خَلاءٍ كيفَ عيشتهُ فقال ماضٍ على الأعداء مرهوبُ
ليَ الفصيلُ من البُرّانِ آكلهُ وان يُصادفني طفلٌ فهو مصقوبُ
والنخل أرعى بهِ ما كان ذا رُطَبٍ وان شتوتُ فلي شاءُ الأعاريبِ

٢٦ كان عمران بن حطّان قبيح الوجه ولهُ امرأة جميلة المنظر فقالت لهُ يوماً: اني لأرجو ان نكون جميعاً في الجنّة. فقال: ولِمَ. قالت: لانك أُعطيتَ مثلي فشكرت وأُعطيتُ انا مثلك فصبرتُ والصابر والشاكر كلاهما في الجنّة

٢٧ شكا اهلُ بلدةٍ الى المأمون والياً عليهم فقال: كذبتم عليهِ قد صحَّ عندي قولهُ فيكم وإحسانهُ لكم. فقال شيخٌ منهم: يا امير المؤمنين فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيّتك قد عدلَ فينا خمس سنين فانقُله الى غيرنا حتى يسَع عدلهُ الجميع فتربح علينا الكلّ. فضحك المأمون وصرفهُ عنهم

اهتداء كاتبة روسيّة ارثذكسيّة الى الكثلكة

مقالة ترجمها رأساً عن كتابها المنشور بالروسية

الاب رافائيل نخلة اليسوعيّ

تمهيد المترجم

على خلاف ما يزعمهُ جمهور الكاثوليك بل الارثذكس انفسهم ليست في حكم العدم حركة اهتداء الروس المنفصلين الى الكثلكة منذ اوائل الجيل المنصرم ولاسيما في اثناء الحرب الكونية الطاحنة وما وليها من الاعوام. ولئلا يُنسب الينا رمي الكلام على عواهنهِ نزيد رغماً من ضيق المقام اثبات قولنا بالشواهد التاريخية التي لا محيص من التسليم بصحتها

نشر الفرنسي رونه دي جُرنِل (Rouet de Journel) كتاباً عنوانهُ: «مدرسة لليسوعيين في بطرسبرغ» لخّص فيها استنادًا الى اوثق المصادر تاريخ ذلك المعهد القصير الحياة حيث تأسس في السنة ١٨٠٠ وزال من الوجود في ١٨١٦. على ان السبب الوحيد لالغائهِ بأمر الحكومة الروسية وطردها اليسوعيين بل نفيهم من العاصمة الى بلاد قاصية هو كونهم اوجدوا ليس بالتعليم الديني المباشر — فقد كان محظورًا عليهم من البدء — بل بواسطة نفوذهم وأمثالهم، حركةً شديدة في كل طبقات الأمة حتى بين اعيانها، حركةَ اهتداء من الارثذكسية الى الكثلكة. فارتعب ذوو الربط والحلّ من انتشار ذلك التيار الهائل على كل العاصمة ثم على الاقاليم ولم يجدوا سدًّا أمنع في وجههِ من الاقفال القسري لتلك المدرسة الشهيرة الحافلة بابناء عِلْية الناس. هاك على سبيل المثل اسماء بعض مشاهير اولئك المهتدين: الامير ديمتري غولِتسين وقد صار كاهناً ثم توفي سنة ١٨٤٠ وهو مُرسَل بين القبائل المتوحشة باميركة الشمالية — الاميرة أليكسيس غولِتسين وبنتها اليصابات — الاميرة حنة بَرْيتِنسكي = الاميرة ڤاسِلْتشيكوف واختها الآنسة پروتسوف — الاميرة لِيزة كوراكين — الكونتة

رَستيتشين — الكونتة تُلستوي وبنتها التي صارت فيما بعد الاميرة لوبومرسكا — السيدة بيتشين امرأة قائد ، الكاتبة الشهيرة التي لم تهتدِ الى الكثلكة الّا بعد الدروس العميقة — اسكندر غولتسين ابن حاكم بارُسلاف

كل هذه الاسماء إنْ هي الّا بعض من عدّ ، ومن الغرابة بمكان ان تلك حركة الاهتداءات الشديدة قد وُجدت حينذاك في عاصمة كبيرة لا يتعدّى فيها عدد الكاثوليك نحو خمسة آلاف !

امّا حركة اهتداء الروس الارثذكس في اثناء الحرب الكبرى وبعدها فقلّما وجد لهُ نِدّ في تاريخ العالم ، اليك بعض الادلّة على ذلك :

اولًا جاء من روسيّة الى فرنسة في بحر ١٩٢٣ نبأ عن مصدر موثوق بهِ ان ٢٣ من الاساقفة الروس الارثذكس قد اهتدوا الى الكثلكة في سجنهم قليلًا قبل اعدامهم

ثانياً في السنتين ١٩٢١ و١٩٢٢ قد اهتدى الى الكثلكة اكثر من ستين من المهاجرين الروس الارثذكس النازلين اوانئذ في الاستانة

ثالثاً يوجد بين الروس الارثذكس المهتدين في الاعوام الاخيرة نفرٌ من اوسع الناس جاهاً واغزرهم علماً . فانّ فيهم مثلًا الاميرين بطرس دُلكنسكي وسرجيوس أُوروسوف وقد صار هذا يسوعيًّا ثمّ الكاتب هَنسكي وقد دخل في الرهبانية ذاتها — رجيدينوف كان قبلًا من اساطين العالم القضائي وهو الآن في مدرسة اكليريكية يستعدّ للكهنوت — والسيد سيباغين العضو السابق في «الدوما» اي مجلس النواب الروسي — والارشيمندريت السيد سرجيوس دابتش . ومن غرابة امره انهُ اوّل حبر روسي ارثذكسي اهتدى الى الكثلكة منذ اكثر من جيلين وقد سبق اهتداءهُ دروسٌ عميقة طويلة فلا بدع أن دهش كل العالم الكاثوليكي من ارتدادهِ فافاضت في وصف تفاصيله امّهات المجلّات الكاثوليكية في الخافقين(١ — نذكر اخيرًا بين اولئك المهتدين الاعلام الكاتبة الروائية المعروفة السيدة نادينة دي لپو دانيلفسكيا (Nadine de Lappo-Danilevskaïa) كان اهتداؤها من نحو عامين وقد نشرت

١) بينما نحن نسطّر هذه الاخبار واذا ببرقية اميركية اثنتا ناشرةً خبر اهتداء السيد الروسي دزوبائي (Mgr Dzoubaï) اسقف نيويورك الارثذكسيّ الى الكثلكة

بباريس في اوائل ١٩٢٤ كتيباً عنوانه «المهاجرون والكثلكة» ترجمناه حرفياً من الاصل الروسي ولم نزد على متنه سوى عناوين الابواب التي قسمناه اليها لزيادة الايضاح وتسهيل القراءة . نطلب الى المولى ان يبارك على ترجمتنا الصعبة ويجعل منها فخراً للكاثوليك وهدى لاخوتنا الخارجيين عن الحظيرة البطرسية

تعريب رواية الاقنداء عن الاصل الروسي

المقدمة

اني اتناول القلم باسم العدل وليس بقصد ان ابرهن على شيء ما او ان اقنع الناس بامر خاصّ ، فان كل البراهين او طرق الاقناع عادمة الجدوى اذا استخدامها فيما يُلامس اخفى واعمق قوى النفس ، اعني دينها . الدين خارج عن كل المعارف والنواميس البشرية لان كلًّا منّا حاملٌ في ذات نفسه ناموس الدين (١) .

في الآونة الاخيرة شرعت المسائل الروحية تهيّج انفس المهاجرين الروس فضلًا عن هؤلاء الروس الاشقياء الذين حسب الارادة الالهية لا يفتأون يتألمون في الوطن . وقد طالما استحقت تلك المسائل ان تنال في حياتنا المقام الاول الذي يخصّها وفقاً للعدل . من المجادلات والحملات العنيفة التي يصوّبها الارثذكس ضد الاكليروس الكاثوليكي — وقد جعلت الارادة الالهية المهاجرين الروس في تماسّ معهُ — سوف تخرج الحقيقة في نهاية الامر ظافرةً . فانّ انشقاق الكنيسة هو بإذن الله ولا يستطيع ان يكون بارادته اذ قد حدث انفصال كنيستنا المستمرّ عشرة اجيال ما بين العداوة والمكايد والوشايات والمخادعات السائدة في البلاط البوزنطي وبين الاكليروس الساعي في ارضائه

قد تحوّلتُ او على الاصحّ ، قد رجعتُ الى الكنيسة الكاثوليكيّة لانّ المولى

---

(١) في هذه الاقوال على حرفيّتها مغالاة واضحة . انما مقادها ان العلم والتقيب وحدهما لا يكفيان للاهتداء الى الدين الحق بل يجب ان تُراد عليهما نعمة الله المقدّمة دائمًا لكل ذي ارادة صالحة لأنّ تعاليم الدين القويم تنطبق على نور العقل . وقد بيّنت الكاتبة كل ذلك في الفصل التالي

امرني بذلك ، لان ضميري اقتضى ذلك . حيث كنت لا ارضى بالعداوة لا في القليل ولا في الكثير . ثقُلَ دائماً كلَّ الثقل على نفسي ما اختبرتُهُ من عداوة كنيستي ، التي انسبها المخلص الوديع (١ ، للكنيسة الكاثوليكية . فتجديد اتحادي بالكنيسة المسكونية انما اقوم بعمل الخضوع لاوامر المسيح بل تأتي نفسي عمل السالة لها

١ً العلم لا يكفي للاهتداء الى الكثلكة ان لم يُقرَن بالصلاة

مَنْ يَدْعُهُ صوت الله ينقَدْ طائعاً الى هذه الدعوة مهما وَعُرت الطريق . لو كان كل الامر منوطاً بمجرَّد البحث المُحكم في تاريخ الكنيسة لاتَّضح لزوم كون معرفة الوقائع التاريخية الاكيدة تحثّ كثيرين على العودة الى حضن الكنيسة المسكونية . ومع ذلك فلا مراء انّ بين الروس اناساً علماء مطّلعين جيداً على التاريخ الكنسي وعقائدنا الاساسية غير الحائدة في حقيقتها عن عقائد الكنيسة الكاثوليكية اعني «الارثذكسية» (٢ كما كانت ولا تزال حتى الآن . على ان كثيراً من اولئك العلماء يبقون في كنيستهم القوميَّة . فالمنزى انهُ يوجد شيء غير العلم قائدٌ بنا . هذا الشيء هو الايمان الذي لا يهاب احكام الناس ولا المُحقرات ولا التُّهم الباطلة في كونه يبيع ضميرهُ هو الايمان الذي لا يخاف سوى الله ويقوّي المرء لاحتمال المحن الارضيَّة لاجل ادراك ما يلحقها من بدائع السماويّات

لقد انجلت الحقيقة لفلاديمير سولوڤياف (٣ ، نبراس العلم ، في حين درسه التاريخ

---

١) تريد الكاتبة بكنيستها اوَّل اهتداء الروس الى الايمان اذ كانت كنيستهم كاثوليكيَّة متحدة مع رومية وثبتت على ذلك زمناً (راجع المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٧٢٢-٧٤١

٢) هذه اللفظة مشتقة من جذرَين يونانيين معناهما القويم الايمان . ولذلك فالكنيسة الكاثوليكية ، لكونها كنيسة المسيح الوحيدة ، جديرة بان تُسمَّى ارثذكسية دون سواها . الكاهن الكاثوليكي قبلاً قبل اقوال التقديس يصلي في القدّاس « من اجل كل الارثذكس » مريداً هذه اللفظة كلَّ الكاثوليك . لكن اخوتنا المنفصلين قد لقَّبوا ذواتهم زوراً بهذا اللقب ولذلك نتحاشى نحن عادةً نسبته الى ذواتنا لمجرد دفع الالتباس وسوء التفاهم . وقد اشارت الكاتبة المضيفة الى كل ذلك بجعلها لفظة «ارثذكسية» بين قوسين مزدوجين كلَّما استخدمتها في الكلام عن الكنيسة الكاثوليكية

٣) احد اشهر علماء الروس الارثذكس المهتدين في الجيل التاسع عشر . من اخطر مؤلفاته

الكنسي واللاهوت ، وبعد طبع مؤلفاته البرهنة على حقيقة الكنيسة الكاثوليكية قد اتحد هو ذاته بها . فلا لعمري من أسند حجتهُ في صوابيَّة الايمان الى اساس العلم اعني المعرفة البشرية وذلك لانه يمكن المرء حسب رغبتهِ وجود مناقضة لاي برهان كان بيد انهُ من الممتنع وجود حقيقتين متضادتين (١) . وعلى ذلك فمن يريد ادراك الحقيقة لسعادة نفسهِ فهو بالصلاة الحارَّة يدركها لا محالة ، فقد قيل لنا : « اطلبوا تجدوا ، التمسوا تُعطَوا » . المعتقد اعتقادًا مقدَّسًا بصحَّة ايمانه وهو يصلي ويتألم في روحهِ من اجلهِ فليقَّ فيهِ مطمئنًّا . ذوو الايمان العميق هم في جوار المولى وهو عارف مَن يحسُن لديه ان يقوده الى الحقيقة على طريق معقَّدة ومؤلمة

٢ لا غنى لنا عن كنيسة المسيح الواحدة فيلزمنا معرفتها

نُسلِّم بان الدَّولة يستحيل وجودها بدون شرائع وفي الآن ذاته كثيرون يرذلون الكنيسة مع انها الشريعة المنظورة لادراك ملكوت الله المقدَّس وغير المنظور . لا غنى عن الكنيسة للنفس المصلِّية الباحثة عن الله ، فان المخلص ذاته اشار الى تلك الضرورة بقوله : « سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » . من لا يؤمن بالوهيَّة المخلص فمن الواضح انه لا يعترف بوجود الكنيسة . من اجله سنصلي نحن المؤمنين بلاهوت المسيح حتى يشفي مخلصنا عمى الذين لا ينظرون

الطائشة في الاراء هي نتيجة اهمالنا لما يحقّ له المقام الاول في حياة كل منا اعني في ديننا المنحصرة فيه ليس فقط ابسط واعمق فلسفة ، بل اسمى وارقى انواع الجمال الذي اوحى الى النوابغ ما اوحاهم ! المؤمن ايمانًا حقيقيًّا متبحِّر في آرائهِ الدينيَّة لعلمه بكثرة ما خفي علينا من عمق الاسرار الالهية المحفوظة في الكنيسة وبكثرة

الكنيسة كتاب عنوانه « روسية والكنيسة الجامعة » بيَّن فيه باجلى البراهين فساد كنيسته الاصليَّة ولاسيما بانقيادها الاعمى الى سلطة القياصرة وتراجم بتمجيدهم ويتلاعبون بها كيفما شاؤوا وهي راضخة صامتة !

(١) هذه الحالة تبيِّن فساد الاقوال السابقة اذا أُخذت بالمعنى الحرفي . اذن مراد الكاتبة ان الانسان الخاضع لشهواته المنقاد انقيادًا اعمى لاغراضهِ عاجزٌ كل العجز عن ادراك اقوى البراهين واسطعها . ففي وسعه ان يجد لكل منها مناقضًا . وما كل ذلك الا لكونه اعمى او بالاحرى متعاميًا . ولا اسهل على من يغمض عينيهِ في رائعة النهار من ان ينكر وجود الشمس !

لزوم الصلاة لنا حتى ندرك عتبة دار النور

لا سبيل الى انكار انهُ ليس العلم والفن فقط بل والصناعة البسيطة تقتضي التعليم وبازدياد عمق هذا وإحكامهِ يزيد اتساع الآفاق المنكشفة لدينا في ميدان تعلُّمنا . نحن نحبس ذواتنا عن المجادلة والبرهنة على اي شيء في موضوع قلّت معرفتنا لهُ . فلماذا نرى في ميدان الدين اناساً قد استظهروا على الاكثر صلاتين او ثلاث صلوات وهم طائشو الافكار في الكنائس بل بعضهم غائبون عنها بالكلية ، ولم يطالعوا كتاباً لاهوتياً واحداً ، ومع ذلك يعتبرون ممكناً جدالهم واقامتهم الحجة في موضوع ديني ؟ وان نسبوا بعض الاهمية الى جسارتهم او بالاحرى الى جهلهم ، فما ذلك الّا لعجزهم عن تحليل حالتهم النفسيّة في ذلك الجهل . بينما نخجل من قلة تخرُّجنا في العلوم الشائعة قد تعوّدنا ترك التخرّج الديني جانباً والاكتفاء بابسط المعارف الابتدائية . في حين عدم خجلنا من فرط ضيقة آرائنا نتكاسل في تعلُّم الدين الذي علّمنا اياه المسيح . نحن مسيحيون كذبة حيث نُهمل اوامر المسيح بل انّ كثيرين منّا موقنون بانه يسوغ لكل واحد ان يعتقد ما يشاء ، حيث لا حاجة الى اية كنيسة في امر الايمان . على ان انقى انواع الايمان ، ان لم تفقده الكنيسة ، يستطيع ان يربطنا ليس فقط بجوهر الخير غير المنظور بل وبجوهر الشرّ غير المنظور . فلكي نرتبط بالمولى بواسطة الايمان يلزمنا التمثل بالمثال الذي اراناه اياه لادراك تلك الغاية (١

تسمية المرء ذاته نصرانياً وكونه ذلك ليسا شيئاً واحداً . فالاول انما هو صورة خارجية ، اما الثاني ففيهِ محتويات روحيّة . لقد كثر فوق الحدّ بين ظهرانينا من هم غير حارّين ولا باردين بل فاترون . فان آمنّا فايماننا ليس حارًّا ولا متحمساً . وان لم نؤمن فلا تُهيّج نفسنا الشكوك والابحاث ، بل تبقى بليدة في معرفة عدم ايمانها مفضلةً ان تمشي بعينين مُغلقتين الى عتبة الابدية على ان تطلب النور لان كل المطالب تقتضي بذل بعض القوى الروحية

---

١) ما هذا المثال الالهي سوى الكنيسة الكاثوليكية التي قال مؤسسها سيدنا يسوع المسيح لاوّل اساتذتها وهم الرسل : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم . . . كل من يؤمن واعتمد يخلص ومن لا يؤمن يُحكم عليه »

٣ حملات الروس المنفصلين على اخوانهم المهتدين الى الكثلكة

السواد الاعظم من القائمين القاعدين عند انتقال اخوتهم الى الكثلكة ليس لهم ادنى إلمام بما هي الكنيسة الشرقية ولا بما هي الكنيسة الكاثوليكية المكونية « الارثذكسية» (١ . اما مزيدات احتجاجهم فمؤسسة على كون الوطني الروسي — وما أدخلَ الوطنيَّةَ في هذا الامر ؟ ! — ملتزم بعدم هجران كنيسته ، وعلى انَ روسية من المحال ان تكون الّا ارثذكسية ، وانَ الكاثوليك جميعهم يصيدون ارواح الروس ويشككونهم (لعمري ايمكن تشكيك المؤمن ايماناً حقيقياً ؟ !) . والآن يُزاد ايضاً على ذلك ان الكاثوليك يدفعون حتماً من النقود لمن يتحوّل الى ديانتهم وان الكنيسة الكاثوليكية قد تداخلت دائماً بشؤون الدول في حين بقاء كنيستنا على الحياد

لماذا من يخطو الى الكثلكة من الانكليز او اليابانيين او الارمن او اليونانيين لا يغيّر صورته القومية ولا يزال وطنياً محباً لوطنه ؟ لماذا يتحتّم على الروسي المنضوي الى الكنيسة الكاثوليكية ان يصير غريباً في بلاده ؟ من قال ان روسية لا تكون الّا مستقيمةَ الايمان ؟ اليس ذاك الذي اقنع روسية انها قديسة وان الشعب الروسي حاملُ الله في صدره ؟ ولكن بايّ المظاهر تتجلى قداسة روسية ؟ ألّلنا جميعنا نحترم اوامر المسيح اكثر من سائر الشعوب ؟ مَن احبَّ الله احبَّ قريبه ايضاً ، فهل اضطرمت في قلوبنا محبة القريب ؟ هل نُبدي حاضراً هذه المحبة ولو بعضنا لبعض ؟ ولِمَ ندّعي كون شعبنا حامل الله في صدره ؟ هل نسينا الثورة وضروب التوحش في « كالوش وترنوبول» ؟ (قد وُجدتْ في تلك الانحاء عند لَوْذ الجيش بالفرار) . اني لأرتئي ان شعبنا لا يختلف عن اي شعب آخر . ففي حالة السكينة هو صالح ، اللهم في مجموعه ، غير انه قاس وسهل الاستسلام لكل ضروب الخداع السيّء . أفهل من المستحيل محبّة المرء لوطنه بدون اسدائه المدائح الكاذبة وتكليل هامته بهالة من المجد موهومة ؟

الاكليروس الكاثوليكي الذاهب بيد الاحسان الرحبة لاستقبال المهاجرين المحتاجين الجائعين يبرهن على محبته المسيحية للقريب ، والخير الذي يصنعه محض

(١ راجع الحاشية الاولى الملتقة على الفصل الاول

لكونه مصنوعاً باسم الله وفي سبيل محبته . اما كونه يخدع ويشكك ويؤجر المنتقلين الى الكثلكة فانا التي لم يشككني احد ولم يُدفَع لي درهم واحد سأقول فيما يلي قولاً موجزاً في هذا الصدد . أما الجواب على كون الكنيسة الكاثوليكية قد استغلت دائماً بشؤون الدول ، فيمكن ملاحظة انه بمجرَّد فضل الاحبار الرومانيين الحاملين على اكتافهم كل وقر القرون الوسطى ، بمجرد فضلهم هم المُشرفين بسلطتهم على الكنيسة وعلى الدول والملقحين التمدن المسيحي في الطبيعة البشرية المتأصلة في الوثنيَّة ، بمجرد فضلهم هم خلفاء الرسول القديس بطرس ، قد صانت الكنيسة وصايا المسيح في نقاوتها السليمة ولم تتغلب عليها ابواب الجحيم . لعمري ما الذي كان تزل بهذه الكنيسة لو ان احبارها الاعظمين بقوا على الحياد واسلموا سلطة الدولة بين ايدي حكَّام لم تزل ارواحهم وثنيَّة على توالي العصور الطوال ؟ لتشريب الدولة بروح المسيح كان من اللازم وجود حاكم من ذات الكنيسة ، حاكم نال حظَّتهُ من نعمة الروح القدس التي وعد بها المسيح ، حاكم حائز على جلال نفوذ السلطة

٤ اضاليل الكنيسة الروسية المنفصلة

ما الذي كانت صارت اليه الكنيسة الشرقية لو ان رُعاتها لم يتذلَّلوا أمام عواهل بوزنطية الذين لم تزل مستحكمة فيهم روح الوثنية وعوائدها ، لو لم يقابلوا سيئات اولئك الحكام بفرط التسامح ، لو لم تُصِبهم عدوى المجد الباطل وحبّ السلطة ؟ وايمُ الحقّ لو ثبتوا في ما يقتضيه مركزهم من سمو الأخلاق على مثال البطريرك اغناطيوس الذي سجنهُ في احد الاديار فوطيوس بمكايده وشاياته الكاذبة ، لكانت كنيسة المسيح واحدةً حتى الآن ، ولم تشتدّ في روسيَّة الفتاة بفضل الكهنة اليونانيين(١ العداوةُ البلهاء نحو الحبر الاعظم رئيس الكنيسة المسكونيَّة . بينما كانت هذه العداوة غير الخليقة بروح النصرانيَّة تُلقَّح وتُنمى في افئدة الروس فقدت الكنيسة الروسية شخصيتها واخضعت نفسها بادئ بدء لبطرس الاول ماغي البطريركية ومستعبد الكنيسة ، ثم اضاعت بقية سلطتها حيث اعترفت بسلطة السينودس

---

١) الذين بشَّروا روسية بالدين المسيحي فأسموها اضاليلهم مازجين السمّ بالدسم

الاداري الذي يدير فيه شؤون الكنيسة رجالٌ علمانيون . فالكنيسة في خطتها الضيقة القومية قد جمدت جمود الموت

على ان كل ذلك حوادثُ ماضية غير قابلة الاصلاح ، اعمالٌ تركت بختم لا يُمحى اثرها على صحائف التاريخ الروسي . . . اما صحائفهُ الاخيرة التي تقلبها يد الابدية فمغمورة بالدماء والدموع وقد فاضت عليها آلام الروس الباقين في روسية والمتشتتين في كل الدنيا . حين تمرّ الاجيال من المحتمل ان يعتبر التاريخ دورنا هذا دور انهزام المسيحيين الكذبة . فاننا نحن العلمانيين الروس بعيدون كثيراً عن وصايا المسيح ، والاكليروس الروسي بقي في عماه او في عناده مصراً على الآراء الارثذكسية المتكوّنة تعمداً (١ في بوزنطية التي ضربتها يد المولى بالقصاص حيث ان كنيسة آيا صوفيا بين ايدي الاتراك منذ ١٤٥٣

٥ المحن الحاضرة ستعيد روسيّة الى كنيسة المسيح الكاثوليكيّة

العميان وحدهم لا يرون ولا يريدون ادراك ان ما يحدث في روسيّة وفي جميعنا ليس صدفةً عادمة المعنى ، وان امواج المحن الطاغية فينا انما هي آلام الجلجلة قصاصاً على خطايانا المستمرّة عدّة اجيال . فبغسلنا ادران خطايانا الارادية وغير الارادية بالاوجاع والدموع والدم نقتبل عماداً جديداً حتى اننا بروح مستنيرة وبقلب طهرتهُ الآلام والدموع نبدأ حياةً جديدة اجدر بالذين اتسموا باسم المسيح . بعد هذه اعوام صُلب روسية وتسكعنا المؤلم في البلاد الاجنبيّة وفي المساكن الفقيرة سيلزمنا في نهاية الامر الاقتناع بانّ السياسة ومنازعاتنا ومجادلاتنا القليلة النفقة (٢ وحساباتنا وتنظيماتنا ، كل ذلك عاجز امام سلطة الشرّ المظلمة (٣ سلطة ابليس ، سلطة الظلمة انما

١) تعني الآراء المخالفة لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ، والتمسك في صوغ تلك الآراء يعبّر عن فساد نيّة صاحبيها

٢) تعني انها لا تقتضي جهداً بانياً بل هي مجرّد هذيان وشقشقة لسان

٣) كل الامم بل كل الاديان تشبّه الحقيقة والفضيلة بالنور ، اما الضلال والفساد فبالظلمة . لذلك كثيراً ما تسمّي الكاتبة السلطة السائدة في روسية منذ بضع سنوات « السلطة المظلمة » او «القوى المظلمة» او ما جرى مجراها . ولعمري انها لم تخطئ في اعتبار ابليس ملك زمام هذه السلطة وقائد حركاتها وسكناتها

يقهرها نفوذ القداسة ليس الأ . كثيرون الغاية بين اظهرنا شرعوا يفهمون ذلك وقد بدأت بدون مراء ، ولو متأخرة ، نهضة تقودنا الى ضياء الحقيقة ، الى معرفة انهُ لاجل محاربة سلطة الظلمة الطاغية على الدول والمذابح ، يلزم ارتفاعٌ شديد في درجة قوة النور والقداسة باسم المسيح ، بل يلزم جهادٌ صليبيٌ جديد . الجيش المسيحي العرمرم المتحد الاخوي المنتعش بفكرة طاهرة ، الذي لا يُغلب ومعه قوة الصليب ، جيش الكنيسة الواحدة المسكونية ، انما بهذه القوة الكبيرة سوف يُكسر العدوّ ، فيدنو الينا فجر جديد . . . ستقوم روسيّة من قبرها مغسولة بدموع عمادها الجديد . اجل سيصير ذلك بل انهُ على مقربة منا فان المواعيد العظيمة للحركات العظيمة لَتدانيةٌ . كل من في روحه يُسلّم بانَّ كنيسة المسيح لا يمكن ان تعادي احدًا — لانهُ حيث يوجد اسم المسيح هناك السِّلم والحب — وبان الكنيسة يلزم انضمام كل افرادها في الوحدة التامّة كما كان ذلك عشرة عصور منذ تأسيسها ، كل من يسلّم بذلك ينبغي عليه ان يبحث عن طريق المسالمة (١) . من يدرك ذلك ويعترف به فباسم الشرف والذمّة لا يسعه السكوت بل انه لا يجسر عليه . . من اللازم ان يصرخ بلْ صوته في هذا الشأن حتى يسمع الصُمُّ دعوتَهُ ، الدعوة الى السِّلم باسم المسيح . . طوبى لموجدي السِّلم لانهم سيُدعون ابناء الله

٦ وصف الكاتبة لاهتدائها

اني ما زلت موقنةً ان معاداة الكنيسة لا يوافق روح تعليم المسيح على اني لم اقرأ في هذا الموضوع الّا الشيء اليسير ولم افكر قطّ في التحوّل الى الكثلكة حيث كنتُ أُجلّ ديانتي ورعاتها الذين اعرف بينهم اناساً ذوي تثقيف روحي سام . ففي العام المنصرم سمعت ببرلين احد رعاتنا يقول ان الانتقال الى الكثلكة انما هو إنكارٌ المسيح . هذه الكلمات ادهشتني فقد تعوّدتُ اعتبار كون كل العالم المسيحي خاصّة المسيح . من يوم دوّتْ هذه الاقوال في مسمعيّ بدأ في نفسي عملٌ معقّد ومؤلم . ما كنت اعرف احدًا من الكاثوليك ولم أُبحْ الى احد ببذور الشكوك النامية فيّ . ذات يوم ترك شخص ما بطريق صدفة غريبة على «طاولتي» كتاباً للمطران انطونيوس

(١) مسالمة الارثذكس للكنيسة الكاثوليكية بالانضواء اليها

عنوانهُ : محادثات كاهن ارثوذكسي مع احد الاتحاديين (١ بشأن اضاليل اللاتين قرأتهُ فكان التأثير العام مؤلماً بداعي الكلام القارص للغاية والعادم المجاملة الذي صوّر بهِ المؤلف الجدال بين الكاهنين . فكان عندي من الغرابة بمكان تصوُّري راعيَيْن لكنيسة المسيح عاريين عن التواضع بل كانهما متشاتمان تشاتماً لا يليق بركزيهما . فكان القارئ يشعر بواضح رغبة الكاتب في حثهِ على عدم احترام الخصم . كان لي الما واهانةً من انَّ مثل هذه مادَّة الحكم العميقة المعقَّدة المعذِّبة لكل قلب مسيحي قد أُفرغت في قالب تلك الفظاظة العارية عن ادنى تهذيب . في بقية تلك السنة قادني المولى قيادةً واضحة على طريق وعرة ومعقَّدة انتهت بانقلابي الى الكثلكة . لقد صلَّيت كثيراً وباستجرار زاعمةً ان قوى الظلمات تدانت الى روحي . بمقدار ازدياد صلاتي كان يزيد وضوح اظهار الله ارادتهُ لي . طلبت بصفة ادلَّة عليها اشياء كانت تلوح لي مستحيلةً ومع ذلك فقد منحني اياها

في نصف العام الاخير السابق تحوُّلي الى الكثلكة كانت معيشتي غريبةً في محتوياتها ومن الواضح ان الارادة العليا كانت توجهها الى العتبة التي كنت اظنّ قواي غير كافية لتخطيها . كنت اخاطب نفسي بما يوحيهِ عادةً العقل الهلوع : « لماذا اغيّر ديني ؟ اني اؤمن واعترف بلاهوت المسيح ، اني اصلّي اليهِ ، اليس سواء انضواني الى هذه او تلك الكنيسة ولاسيما ان العقائد الجوهرية هي هي تماماً في الكنيستين ؟ فلماذا احطّم ما ألفهُ قلبي من نعومة اظفاري ؟ أمن المعقول إسناد اهميَّة كبرى الى الظواهر ؟ كنت احدّث ذاتي بطرد الافكار المؤلمة وبطلب السلام لروحي المضطربة في حالةٍ وسطى يتضح احتوازها على مواطأة غير مستقيمة مع الذمَّة وشرف النفس . على ان العقل كان لهُ قولٌ وللروح مطلب آخر

في ذات يوم بصلاة حارَّة قلتُ للمولى اني سأؤمن بانَّ ما سمعتُ هو نداؤه ان كان يقودني الى رومة . مضى على ذلك اقصرُ الزمان وتمَّت رغبتي الشبيهة بما في قصص الف ليلة وليلة . فانني رغم التمرّي بعد غربتي من روسية عن كل الوسائل المالية وحرمان

(١ هم الروس المنفصلون قديماً العائدون بعد ذلك الى حضن امهم الحنون « الكنيسة الكاثوليكية وهم الآن الوف مؤلفة لهم اكليرس شرقي خاص . وقد اطلق عليهم كاثوليك اوربة اسم «Uniates» الذي عرّبناه بلفظة « اتحاديين »

ذاتي من ألزم الاشياء. وجدتُ ذاتي فجأة وعلى طريقة غير مألوفة، في رومة! كنتُ اعرف ايطالية جيداً لاني قبل الثورة بحثتُ كثيراً. لكني كلما اتجهت الى رومة حدث حادثٌ ما حالَ دون قصدي فكنت أرجئ سفري الى العام التالي. اخيراً وقد فهمتُ من عهدٍ عميد فهماً منطقياً حركة حياتي خطوةً فخطوة، جزمتُ جزماً واضحاً بان قد قُيّضت لي في رومة ظروفٌ خصوصية. لم يكذبني شعوري السابق اذ قادني المولى الى هذه المدينة العجيبة المقدسة لكيما احسّ من صميم روحي بكامل ألم انفصالي عن الكنيسة الوطنية التي منها غا وتقوّى شعوري الديني، ثم انظر عتبة الباب الذي من ورائه، بقوة غير منتظرة وصانعة المعجزات، قد فاض عليّ نهر من النور والسعادة كبير الى حدّ ان كل شكوكي واسئلتي المذبذبة غُرقت فيه فجأةً!

لم اجد كمال توازن النفس فقط بل كأنما انشقّ امامي طرف الستار فادركت اشياء كثيرة مما كان يظهر لي ميتاً غريباً. وبفؤادي وبروحي شبّت بلهيب احرّ محبتي لله ولكل البشر، وارتسمت امامي ارتساماً اوضح صورة كل ما يأمرنا المولى باحتماله، صورة التعامي والتصامّ عن وصايا المسيح التي لا غنى لنا عنها ولاسيما في اوقات معلومة

٧ آمال الكاتبة في اهتداء روسية الى الكثلكة

سوف يأتي اجل سوف يأتي ختام محنتنا. مثل نوم ثقيل الوطأة ستضمحلّ سريعاً اعوام الحرمان والمحقرة والشقاء. مثل ظلال الليل ستنقشع قبل الفجر عومنا المؤلمة بشأن الغد، بشأن الخبز اليومي بالمعنى الحرفي. ستنساب الاشعّة الوَجِلة اشعة الشمس الطالعة، وحينئذ، حينئذ ليس قبلاً، سيدرك اولئك الذين يعيشون ليس فقط عيشة المادّة، كم قُسِم لنا من الجهال الروحي السامي في مُرّ منفانا هنا في الغربة، وفي الغربة المعنوية لمن بقُوا اطهاراً في الوطن

في المساكن التي تحت جَمَلون البيوت او تحت طابقها الارضي في الاكواخ والسجون قد اذّخرنا في ذواتنا ليس فقط كل تذكارات حياتنا الماضية البديعة — وهي باطلة الاباطيل! — بل شهادة ضميرنا على براءتنا امام الله والناس. لم يبقَ لنا مال ولا مركز ولا اسم معروف ساطع ولا مجدٌ، فكيف يعبأ شعب اجنبي بمجد اسم روسي!...

كلُّنا ههنا متعذّرون بنفس عفر المهاجرة الكامد اللون . ولكن ، يا اخي ، حين تُطفئ في ساعة متأخرة من الليل مصباحك في حجرتك الضيقة التي لم تألف خشونتها ، وليس ادنى شبه بينها وبين رغد قصرك القديم ، حين تخرّ على ركبتيك امام الايقونة الصغيرة السالمة وحدها في انقلاب الوطن ، حينذاك سيتولّد في روحك الشعور النقي اللطيف بان فقرنا غير المعتاد وغير المقسوم لنا من الهدء بل المرسل الينا بصفة شقاء مقدّر ، بصفة محنة ثقيلة ، بأنّ هذا الفقر يُطهّر ويرفع ويُلين ويُسكّن النفس العارفة قيمتهُ . ففي فقرنا عِطرُ جمال التثقف الروحي ، بفقرنا وذلّنا وصبرنا ستغدو حافلةً صحفُ التاريخ الروسي الذي نحمل الآن وِقرَهُ على اكتافنا التعسة

انما نحن قطيع المسيح المتشتت لكنه غير ضائع ، ونفسهُ يُطهرها المسيح بالآلام . بواسطة هذه الآلام ، وقد سُقينا دموعاً ودماً ، لنتقرب الآن الى المولى بحيث قد شرعت في اعماق نفس كلٍّ منّا عمليّاتُ التجدُّد الروحي . ان كان الشعب الروسي حامل الله في صدره ، وان كان من خصائصه ان يُتمّ عملاً كبيراً سنيًّا فقد آن الأوان لذلك . حال كوننا متفرّقين ايدي سبا في العالم وفقراء بالروح ، ندنو الى الملكوت السماوي وسيعطينا المولى اياه . على انه يلزمنا ان نختم صحيفة التعذيب في حياة روسية بفعل حبّ ومسالمة الكنيسة المسيح حتى نصبح في الحقيقة اولاد الله

روسية بتقديمها للكنيسة غصن الزيتون ، رمز السلم ، ستغدو روسية القديسة . فليزهر في روح كل منا هذا غصن السلم ، فيهدينا المولى الى طريق تحقيق السلم ! قادةُ القوى المظلمة قد دهوروا وطننا في الهاوية ، قد أدرنوهُ بتقلبهم ، قد غمروهُ بالوحل والدم بل خنقوا بقهقهة شيطانية صرخات تألمه . ولكن ملاك السلام بهزّة واحدة لجناحيه الساطعين سيصعد بروسيّة الى اعالي الكواكب ! بجيش مسيحي واحد ، بكنيسة مسكونية واحدة قد اتحد كل اعضائها في صلاة اخوية ، ستُغلب القوّة المظلمة ، وسيرفع المولى عن جبين روسية اكليلها الشوكي . بحرارة وبدون انقطاع أبتهلُ الى المخلص لكي يفيض في قلوبنا رغبةً شديدة في قطع كل عداوة نحو الكنيسة المسكونية وفي عدم التنقيب والمجاهرة بعيوبها (١ ، لان كل من

١) ليست هذه العيوب في تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وقد وعدها المسيح بالعصمة من

يحكم — وفي الغالب بمجرد الاقوال الفارغة — على الكثلكة ويضرم نار العداوة نحوها ، فبذلك العمل نفسه يمس في عين الملا شرف كنيسته ونفوذها على الرعيّة . ليس المطلوب جعل الكنيسة الروسية لاتينيّة ، فالطقس الشرقي كما كان حتى زمن الانشقاق ، هكذا يلزم بقاؤه . ليس الكلام على شكل الكنيسة الظاهر بل على جوهرها غير المنظور . لعمري اذا لزم في كل مجتمع بشريّ منتظم سلطةٌ واحدة مؤيّدة من الشرائع ، فكم بالاحرى يلزم الكنيسة التي لها المسيح رأسها غير المنظور في السموات — ان يكون لها على الارض ، وهي منظورة فيها ، رأس واحد وشامل لجسمها ، لاجل صيانة وصايا المسيح في نقاوتها والمناضلة عنها في وجه اعدائها . في عدم الاعتراف بهذا الرأس الوحيد خفيت هذه الكبرياء التي أوحت بانشقاق الكنيسة . كل من بايمانٍ عميق وقلب وديع وافكار طاهرة حتى في اعماقها ، وبالرغم من كل المطاعن والحملات والشُبَه الجارحة لحب الذات النبيل ، يسعى الى حيث يقوده الايمان والذمة والشرف ، فانه يسبق التيار الذي سَتَّجه اتجاهه بلا شكّ حركة الذين لم تنضج الى الآن نفوسهم نضوجاً كافياً . أفلا يتضح لكل ذي عينين ان الجليد قد انكسر وان النهر المتجمد قد شرع يتحرك (١ ؟ . . .

من يحوّل الدين الى تجارة وتحت ظواهره يبحث عن مصالحه الشخصية بدناءة سلوكه يهدم قُدس اقداسه ، على انّهُ لا يولج ادنى ضرر او عدم نظام او تهلكة في مقدس الكنيسة ، لانه ليس من خطر على الشجرة القوية المادّة فروعها الى السماء من جهة الشر المتعفن ، فهذا يسقط من الغصن قاطعاً كل علاقة حيوية معه . ان الارادة العظيمة الحكيمة المقدسة تحرّك روسية الجامدة جمود الموت والتعيسة تحريكاً ثابتاً نحو بعثها من الاموات ، نحو اتحادها بالكنيسة المسكونية ، بل عودتها اليها ، وعلى ذلك فمن بايمانٍ عميق طاهر يسبق الحركة العائمة لا يرتكب اثماً انما يصنع مشيئة الله

٨ رأي الكاتبة في قداسة البابا بيوس الحادي عشر

اني اعرف احد المتعشقين لجبال الالب وهو عالم جَسور قضى كل حياته بين

الضلال . انما البيوب توجد احياناً في اعضاء هذه الكنيسة

١) في هذه الثنايه الظريفة الملح واضح الى حركة الاهتداءات الى الكثلكة بين اظهر الروس الارثذكس

الكتب . كان ينفصل نفسه عنها قهراً لمجرّد الذهاب الى الروابي فيتساق المنحدرات القائمة عمودياً المغطاة بالجليد ويذوق لذةً شديدة بان يخلو بافكاره امام وجه الله عزّ وجلّ في جليل سكون الصخور الجليدية حيث لا تصل — وهو في غنى عنها — جلبة الارض الحزينة . امام بياض كفن القمم الدائمة الثلوج كانت تحضر الارض الباطلة تحت ناظريه ، وعليها تنبسط قبّة السماء البعيدة الشفّافة ، وعلى كل ذلك يمتدّ حضور الله . كان هذا الرجل يتسوّر قمماً اعلى فأعلى على منحدرات الاطواد الزلقة ، فيوسّع صدره ليتنشّق في رئتيه هواء الثلوج المتخلّل . ولم يكن اوانشذ في حاجة الى سوى افكاره المتجهة الى اعالي العلم ، وسوى تداني الله . كان محبوباً من اجل طيبة قلبه ونور عقله المستضيء بالتخرّج في المعارف ، ومن اجل روحه المتقدسة بالتخرج في الايمان العميق - بارادة الله قد التزم

فبدلاً من الكتب المستحبّة ، ان يحوّط ذاتهُ بسيلٍ دائم من الناس ، وان يتخلّى الى الابد عن جبال الالب المكسو بالثلوج العزيزة لفؤاده . بدلاً من القمم والآفاق اللامتناهية في السموات القاصية ، وسلاسل الجبال ذوات الصبغة اللازوردية الليلكيّة الفائضة عليها مسحة من لون اللآلئ ، بدلاً من نغمات الشفق الاحتفالية المرافقة بزوغ النجمة الاولى الشاحبة الوجه الوجلة كأنها مصباح الصلاة في زرقة الاثير ، بدلاً من غور الفجر واول اندفاق اشعّته الوردية الذهبية المنعكسة بشكل بلّورات نقيّة من الماس على كتل الجليد التي هي العهود المضطربة الانهيار الباقية الارض السحيقة ، بدلاً من جميع ذلك الحبور الفائق كل تعبير ، الموهوب من المولى للانسان الحرّ ، قد امره المولى بان يسجن ذاته على الدوام في قصور شامخة موحشة كان في غنى عنها ، قصور مرّت عليها الاجيال وفي داخلها قد ملأت يد الزمان بكتابتها صُحف تاريخ الارض المعقّد ، الطاهر طوراً والاثيم تارةً . من كل جانب يحيط به المرمر البارد ، الديباج الفاخر ، الحرير الوردي ، التذهيب والفسيفساء . . . ويضغط على روحه عظم المسؤولية عن الحمل الموضوع على عاتقه ، الذي لا مناص له من ضرورة حمله الى الرمق الاخير . كل افكاره ، كل قلبه وكل روحه من الواجب ان يُسلمها لهذه الخدمة الثقيلة . هو الاسير المحاط بجدران عالية مرّت عليها العصور ، غير المعروف من الجمهور ، هو الذي لا يزال يبارك على البشر ويتضرع من اجلهم ،

وهو لا يستطيع في بعض الاحيان ان يكشف لهم اضاليلهم في تقدير الخير الذي يجتهد في عمله باسم الرب مضموماً الى صلاته وصادراً عن حبه المضطرم للناس . هو المنفرد في جلاله الظاهر الذي روحه في غنى عنه ، هو القابل بتواضع قدح الالسنة في حقه ، هو الطيب والوديع القلب : ذلك الاسير هو البابا بيوس الحادي عشر

« صلي من اجل البابا ومن اجلكِ سيصلّي هو ايضاً » : هذه الكلمات العميقة في محتواها الباطن قالها لي بيوس الحادي عشر . في هذه الالفاظ كثير من التواضع والمحبة والاستسلام الى الوظيفة الكبرى والعسيرة التي قُسمت له . هذا هو الذي عن جهل او عن تحريف اثيم للحقيقة ، يتهمونه بكونه نسب الى ذاته العصمة من الخطأ ثم القداسة ، وهو يطلب من الغير ان يصلّوا من اجله حتى يمنحهُ المولى القوى اللازمة ليسوس بحكمة كل الكنيسة المسكونية ، ويحمل على منكبيه كل المسؤولية عنها . مع ان ميدان القديس بطرس (١ يفصله عن جميع العالم (٢ يلزم بيوس الحادي عشر ان يعرف احتياجات كل العالم المسيحي ، ان يزيل كل زيغان وجميع الاضاليل في وصايا المسيح ، يلزمه ان يحفظ في التوازن كفّات ميازين السياسة ويحتمل بالصمت وتامّ الخضوع لارادة العلي عَكر سيل النسيمة البشرية غير المستخفّة المصوّبة الى الفاتيكان من الشتّامين غير المطّلعين او الحاكمين عليه عن خفّة عقل وتعمّدًا

الناس لا يتوغّلون في معرفة احوال نفس صاحب السلطة . فهذه تظهر جذّابة في عين الذين لا يدركون ان السلطة الممنوحة من الله انما هي حمل ، لان المولى يسلّمها للذي هو خليق بها اعني الذي يفهم بطلان ملاذّها الموهومة ، وفي الآن ذاته يجعل نفسهُ خادماً لها ، خادمَ الواجب الاكبر ، واجب الفرد نحو الجمهور . رائعة هي سلطة الفرد على كل الكنيسة الارضية ، واعظم من الكل هي المسؤولية عن طهارة هذه الكنيسة والنضال في وجه اعدائها العلنيين والمستترين . انه لمؤلمٌ منظر اولئك الناس الذين بطياشتهم القاسية المتادة يرشقون بالحجارة ذلك الذي لم يختلس السلطة وفقاً لرغبة فؤاده ولم يتُق اليها بل هو الحامل بتواضع امام السلطة السماوية ثقل صليب

(١ الميدان الشهير الممتدّ امام كنيسة القديس بطرس ، وقصر الفاتيكان على جانبه الايمن

(٢ من المعلوم ان البابوات المتأخرين ، ابتداء من بيوس التاسع ، لم يخرجوا قط من الفاتيكان احتجاجاً منهم على احتلال واغتصاب حكومة ايطالية الدولة البابوية في ١٨٧٠

السلطة الارضية . قد ثقلت على الخصوص هذه السؤولية في الدور المؤلم الذي نجتازهُ الآن ، دور استيلاء القوة المظلمة على العالم اجمع بقصد جرّ كل ما هو غير الى ملكوت الظلمات

البابا بيوس الحادي عشر يدعو كل العالم المسيحي الى الاتحاد باسم الله ويرسل صلواته الى عرش البارئ ويدعو الجميع الى الصلاة من اجل روسيَّة التي اختطفتها القوى الشيطانية . من الفاتيكان يتدفق بلا انقطاع سيل المعونة المادية للجياع في روسية وخارجاً عنها : فيجمعون الايتام ويكسونهم ويطعمونهم ويعلّمونهم ويدفئونهم ويدللونهم . وفي مقابلة هذا سيل الاحسان المفعم بالمحبة المسيحية ، يتطاير نحو الفاتيكان ليس ابتهال الشكر الحارّ بل النميمة القاسية البلهاء ، تتطاير الحجارة وكُتَل الوحل امع قبول العطايا والاستفادة منها تُرشق الشكايات بفيّات خبيثة : أفهل تستطيع الكنيسة ان تستخدم وسائط الظلمة وهي تصنع الخير باسم الرب ؟

٩ً احسان الاكليروس الكاثوليكي نحو روسية الجائعة المنكوبة

الاكليروس الكاثوليكي يسعى جهاراً في مساعدة الروس ، جهاراً وباسم الله يدعوهم الى الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية . والخير الذي يصنعه يُسيء البعض نشر الدعوة الكاثوليكية ، وقد نسوا انه بمثله قد أُخضع العالم الوثني . فان استحلّ الروس الارثذكس رشقَ الاكليروس الكاثوليكي بالشكوى من كونه باعانته يجذب المُعانين الى الكثلكة ، أفليس ذلك اعظم شكوى على عدم ذمّة الذين يستطيعون بيع دينهم ، فيرشق مثل هذا التجني على الكنيسة الكاثوليكية يمسُّ الراشقون سمعة كنيستهم . من المحال شراء الدينَ او بيعه . وليس من كنيسة — وبالاحرى ينطبق كلامي على الكنيسة الكاثوليكية التي لا يقدر احد على انكار سموّ آدابها — في حاجة الى رعايا اشترتهم بالاصفر الرنّان ، لانه من الواضح لكل انسان ، ولو ذي بساطة خرقاء ، ان من يتاجر بدينه ، اعني بذمته وشرفه ، ليس منها على شيء بتاتاً ، فيسهل عليه التحوّل اياباً الى الارثذكسية بقدر سهولة انتقاله منها الى الكثلكة . اذا اتى الناس الى الاكليروس الكاثوليكي وعجزوا لهُ عن رغبتهم في التخطي الى الكثلكة فمن الواضح انهُ يضمّهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة ، ولكن بعد ايقانه بقدر

الامكان انهم يقبلون الكثلكة عن اقتناع بصحتها . لا احد يستطيع ان يأخذ على نفسه مسؤولية ما هو مستلة شرف وذمّة كل واحد منّا . فلو وُجدت في حالك اضطراب الاعمال الدنسة حوادث إغواء الناس بالمال — ويا لها من فضيحة وزلّة ! — فقد صدر ذلك الفعل ليس من الكنيسة الكاثوليكية بل ممن يستخدمون اسمها لصالحهم . فكل الوحل ، كل الفضيحة والاثم يسقط ليس على هامة الكنيسة الكاثوليكية بل على هام الذين يتضح وجودهم خارجاً عن اية كنيسة . حيث كان البشر فهناك الخطيئة، لقا الكلام ليس على تصرفات اشخاص منفردين الدنسة بل على الكنيسة المسكونية الكبرى التي ينبغي ان يتحد في حضنها ، ليس الّا ، كل المتعطشين الى ملكوت النور والحقيقة ، الى اسقاط السلطة الشيطانية المستولية على العالم ، والى قيامة روسية من الموت ، فانها ستقوم على طريق تقدمة غصن زيتون السلم الى كنيسة المسيح

بعد تحوّلي الى الكثلكة تمكّنتُ من التعارف بالدوائر الكاثوليكية المجاورة للفاتيكان وحيث اني ذات معرفة كافية لاحوال النفوس ، فمن اول وهلة اشعر بادنى تزوير او كذب ، ولو كان مستترًا باكبر مهارة تحت نقاب الاحسان او التمليق . فالحالة هذه اؤكد اني اعدّ نفسي سعيدةً للغاية لو اتّسم ابني في المستقبل بملامح روحيّة شبيهة بالتي عرفتها في الدوائر المذكورة . اني اسمع غير مرّة من اناس ذوي اعتقاد راسخ بالارثذكسية ، ان الكهنة الكاثوليك الصانعين كثيرًا من الخير هم رجال قديسون ، وانّ الاطفال الروس المتهذبين على ايدي الكاثوليك لا يُسامون اقلّ ضغط من قبل مهذّبيهم في المسائل الدينيّة . وفي الآن ذاته ارى هؤلاء القائلين هذا القول يبتعدون عن اولئك الرجال القديسين ويخشون نفوذهم . ليت شعري اين التعقل في ذلك السلوك ؟ لقد طمره في الجيل الحادي عشر فوطيوس وكارولاريوس (١ وخلفاؤهما الذين زرعوا ورسخوا اصول العداوة والبغض لرومة ، وللأكليرس البولوني ، لاغراض سياسيّة محضة ، غذّى الزرع فجعله يتقوّى ويتأصل . الاكليروس الكاثوليكي هو الآن في رفيع المستوى اللائق بدعوته ، والتاريخ النزيه سيُقيد بدون شك على

(١ بطريرك القسطنطينية الذي تم على يده في اواسط الجيل الحادي عشر انفصال الكنيسة الشرقية عن الكثلكة ، وقد كان سلفه فوطيوس بذل الرخيص والغالي دون تلك الغاية فلم ينلح

صحائفه باحرف من النور اسماء واعماله . البابا بيوس الحادي عشر في دعوته اللطيفة لكل الامم الى مساعدة الروس في روسية وهنا (١ لم يخشَ احتجاج اناس اقلّ رحمة منه ، وقد تذكروا خيانة جيشنا للحلفاء التي اوحى بها اليه البلشفيون . في هذا الشأن يُصرّح الروس الارثذكس بانّ كل ذلك الخير مصنوع بقصد ادناء القلوب الروسية الى الكنيسة الكاثوليكية . أجيب ان كل خير مصنوع باسم الله فقد اوحى به والهمهُ المولى ذاتهُ . لا ارى لنفسي حقّ ذكر اسماء اعضاء الاكليروس المجاورين للفاتيكان الذين التقيتُ بهم في رومة ، وقد خلّفوا بروحي ما لن يُمحى من عاطفة اشدّ الاحترام والحب ، فان سامي تثقّف عقلهم يساوي رفيع مناقب قلبهم وايمانهم الديني . هناك نظامٌ شامل يُخرج الى حيّز الوجود نماذج بديعةً للتمدّن المسيحي الخالص . فلو انّ الذين في عداوتهم العادمة الاساس — وهم في الاغلب لم تسنح لهم فرصة التعارف بكهنة رهبانيّة اليسوعيين — يرمون هؤلاء بانواع اللوم الطائش ، لو انهم تمكنوا من التداني اليهم على مسافة قريبة ، لكانوا يخجلون اي خجل من قدح وطعن السنتهم! كم من القلوب العجيبة الطيّبة ، كم من الاذهان النيّرة قد صادفتُ بين اظهر اليسوعيين ، كم من الخير يصنعونه ، كم من التمدن الحقيقي يغرسونه في نسل الشبان! فليبارك المولى عليهم جميعاً جزاء لكونهم عُنوا بعدد غير يسير من الاطفال الروس الاشقياء الذين سيجعلونهم رجالاً مستقيمين ، ويعلمونهم حب الله وحب وطنهم اكثر من ذواتهم

الآن يُرمى الاكليروس الكاثوليكي بغير مؤسّس بالملامة على كونهم يجمعون الاطفال الروس حتى يصيّروهم كاثوليكاً . على ان هؤلاء المُذلّل انفسهم كانوا لا محالة يحكمون عليه بالقساوة لو بقي عادم الرحمة ازاء نصيب اولئك الاطفال الروس الهالكين . يوجد كاهن كاثوليكي يعول بوسائطه الوضيعة عائلة شمّاس انجيلي ارثذكسي لا رزق لها ، ومع ذلك فابناؤها المتهذبون على نفقة ذلك الكاهن يبقون بسلام في الارثذكسيّة ، ولا احد يلقي في ذهنهم فكرة المجاهرة بالايمان الكاثوليكي ان حكم الجمهور دائماً صارم وظالم ان لم يهده الطموح الى صافي ينابيع النفس (٢ .

١) تريد الهتدية فرنسة رفيا كتبت هذه الصحائف

٢) هي الايمان والمحبة لله فوق كل شيء ومحبة القريب ، ايًّا كان ، من اجل الله

اعرف كاهناً ايطالياً برومة هو مثالٌ عجيب للنزاهة ، مملوٌ بالنسيان لذاته والعناية بالروس المحتاجين . كثيرٌ جداً من الروس يعرفون هذا الرجل الساذج المريد خيرهم المستعدّ للصلاة من اجل كلّ منهم ، وللسعي في مصلحة كل منهم من احد اطراف المدينة الى الطرف الآخر ، أمين أياهم بكل ما لديه من الوسائل الوضيعة ، المستتر في ظل الخفاء ، الصانع الخير حسب وصيّة المخلص بحيث لا تعرف يمينه ما تعمله شماله

كان في وُسعي ان اكرّس عدّة صحائف لوصف الجمال الروحي غير المعتاد المتشح به دير راهبات قلب يسوع الاقدس في رومة ، الواقع في وسط تلّ جانيكولو (Gianicolo) العالي والجدير بان يصوّره المصوّرون ، ولهُ حديقة صموتة رحيبة ذات جدول غير منقطع الخرير في مغارته فهو يذكّر بالابديّة . إخالني اشاهد الآن تلك الراهبات الهادئة الوديعة السوداء الثوب ، الخفيفة السير ، الدائمة الملاطفة ، الدائمة الرأفة ببلايا الناس . إخالني اشاهد وزوسهن المستورة بالنقاب الاسود ، المخفوضة للصلاة في كنيسة منفردة بديعة ، اشعر بكل عطر جمال تلك الصلاة الصادرة ممّن أسلمن ذواتهن للمولى ليس لمجرّد التأمل فيه بل ومن اجل المساعدة الحقيقية للبشر

من دفعته الاقدار الى جوار الكثلكة الواقفة عند مذابح المولى ، فانهُ يتوجّع ويخجل عند سماعه كل الاكاذيب المناقضة للصواب التي تُكرَّر عن طياشة على آذان الجمهور الروسي . انه يتوجع لان كل نميمة تخفض منزلة الناطق بها ، انهُ يخجل لان تلك الاختلاقات قد بلغت من الفظاظة والجنون مبلغاً يمنع غفران تكريرها لسوى الذين لم يعرفوا شيئاً ولم يقرأوا شيئاً وما لهم من التخرُّج سوى التزر اليسير

الخاتمة

كل ما كتبته قد اندفق من اعماق فؤادي ، قد اندفق مع الصلاة . مع اتياني العميق بان اليراع الذي خطّ هذه الصحائف قد نال بركة الذي كتبتها باسمه . كان من الواجب عليّ ان افصل ذلك عن عاطفة العدل ، عن عاطفة الصدق ، واني لابذل كل الجهود لكي ترى هذه الصحائف النور . من الاثم ان تُرشق بالحجارة اليد المدودة لصنع الخير باسم الله ، وهكذا من الاثم ان يبقى صامتاً من شاهد ذلك المشهد

اختم هذه الاسطر بمثل ما افتتحتُها به : الغاية من هذا الكتيّب هي إرواء العطش

الى الحب ، الحب اللطيف والواسع كلَّ الناس في رحابته ، إرواء العطش الى السلم إرواء الى النور . لقد فني وفقدَ وخسر شخصيته وجمد جمود الموت عالمنا الارثذكسي . فليس فيه شيءٌ من المآثر النقيَّة ، ليس فيه شيءٌ من الاعمال العظيمة باسم الحقّ المقدَّس ، فليس فيه شيء من مفاخر النفس في سبيل حب الله والانسان . انما نحن طائفة عابسة سيئماها الناس بعد زمن يسير ، نعادي بعضنا بعضاً ، ونجرّ ذواتنا جرًّا على الدرب الفاسد الضيّق ، ولا ندري انفسنا الى اين المسير ومن اجل اية غاية ، ولا يُلقي صوتُنا في الفضاء غناء جهيرًا قادرًا على ايقاظ وهزّ الجمهور الخامد الهمة الفاقد ثقته بذاته لو كان كلٌّ منا يُشعل في قلبه ولو شمعةً صغيرة في سبيل العمل الالهي ، فباي لهيب ساطع كان يستضيءُ كل العالم المسيحي ! في سطوعه الحمرّ كنَّا نرى قبَّة كنيسة القديس بطرس(١ التي اشرق صليبها مدة عشرة اجيال على نفس كنيستنا المنفصلة(٢ . انا بهذا الصليب سنُجندل العدوّ الغاصر روسية بالدم والدموع ، والمندفع كسحابة مهدّدة على العالم اجمع . المدينة المقدّسة الثاوية فيها ذخائر كبيرَي الرسل ، بطرس وبولس ، العزيزة لكل قلب مسيحي ، تدعونا الى نهضة جديدة ، تدعونا الى كامل الاتحاد بواسطة المحبة الاخوية لكي يتقدّس اسم الله عزّ وجلّ ، لكي يأتي ملكوته

وسيكون ذلك لا محالة . باسم المولى اقول ان ذلك سيكون استفتح في احتدام الصلاة قلوب الباحثين عن الحقيقة والسلم ، وستتمّ النبوّة المحتواة في اسم المدينة المقدسة ٣) Roma, Amor — Rim, Mir

تلك النبوّة المشيرة الى حركتين متبادلتين ، حركة رومة الباسطة يد الرحمة والمحبة نحو روسية ، وحركة روسية المقدّمة غصن زيتون السلم الى رومة . بذلك سيذوب مجد

---

١) كنيسة الفاتيكان وهي اعظم معبد في العالم حيث تسع خمسين الف شخص ، وفيها من طرائف الفنون الجميلة ما فيها

٢) تعني ان البابوات الرومانيين خلفاء المسيح على الارض ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية سادوا مدة عشرة اجيال على الكنيسة الشرقية التي شقت عصا الطاعة بعد ذلك

٣) Rim هو اسم رومة بالروسية فاذا قُرئت حروفه عكساً تحول الى Mir ومعنى هذه اللفظة بالروسية هو السلم ، كما ان عكس حروف Roma يأتي بلفظة Amor ومعناها باللاتينية الحبّ

روسية الخالد لانّ الرب قال: «طوبى لصُوجدي السلام فانهم سيُدعون ابناء الله».

نادينة دي لبو دانيلفسكيا
باريس في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٣

*

يسوغ لنا بعد هذه الترجمة الطويلة المجهدة ان نريح القلم لولا رغبتنا في زيادة كلمة موجزة تؤيد كبير آمال المهتدية الروسية النبيلة في عودة وطنها الى الكثلكة. المؤيد الاول هو ان الجرائد والمجلات الروسية الارثذكسية قد نشرت في السنين الاخيرة مقالات ضافيات الذيول في الحاجة الماسّة الى الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية ان ارادت كنيسة روسية النجاة من الدمار العاجل، ومثل ذلك الحادث لم يعهد في الصحافة القديمة. المؤيد الثاني هو تكاثر الاهتداءات في روسية بين افراد الامة ولاسيما بين وجوهها كما سبقت الاشارة في تمهيد ترجمتنا، بل ان اهتداء الجم الغفير دفعةً واحدة قد دخل هناك الى حيّز الوجود. ومن اغرب الامثلة على ذلك كون الكاهن الروسي الارثذكسي بوتاپي (Potapi) قد اهتدى سنة ١٩١٨ هو وخمسون الفاً من رعيته في بلدة بُغْدَنُفكا (Bogdanovka) باقليم اوكرانية. وقد تمّ ذلك الارتداد الجمعي الفريد في بابه رغماً من شديد اضطهاد الالمان والبلشفيين المتناوبين الحكم على تلك البقعة. ذلك الحادث هو اجلى دليل على ان الكهنة وبالاحرى للاساقفة السهم الافوز في اجتذاب آلاف مؤلفة من رعاياهم الى حظيرة المسيح الوحيدة. قرّب المولى ذلك اليوم السعيد الذي تنبأ هو ذاته بجلوله حيث قال له المجد (يوحنا ١٠: ١٦): «وحينئذ تكون رعية واحدة وراع واحد»!

الايمان ناقل الجبال

تفسير آية انجيلية للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب الينا احد تلامذتنا القدماء : وقع خلاف بيني وبين بعض الاصدقاء في شرح آية الانجيل : اقول لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا واهبط في البحر فانهُ يكون ذلك » (متى ١٧ : ١٩ و ٢١ : ٢١) فكان البعض يقولون : هذا من المجاز ونوع من المبالغة البيانية ويقول غيرهم : بل هذا حقيقة واقعية . فاتفقنا على ان نلقي سؤالنا الى مجلة المشرق مصر ٧ ايلول ١٩٢٤

جواب المشرق

ان استفتينا آباء الكنيسة ومفسري الانجيل وجدناهم كاد بالتنا السائلين يختلفون في شرح هذه الآية التي وردت ايضاً في انجيل القديس مرقس (١١ : ٢٣) ورواها القديس لوقا (١٧ : ٥) على صورة اخرى «لقلتم لهذه التينة انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم» على اننا نكتفي الآن بصورة الجبل . وانما نقدم على بيان الرأيين ملحوظاً مهماً وهو انَّ السيد المسيح بتشبيهِ الايمان بحبة الخردل لم ينوِ بها قلة الايمان كما يتبادر الى الذهن بل حرارة الايمان لان الخردل مع صغر حبتهِ حادّ ذو حرارة وحرافة يُتخذ كرهم لجذب الحرارة

﴿ المعنى المجازي ﴾ اما قولهُ انَّ ايماناً كحبة الخردل يستطيع ان ينقل جبلاً ويهبط بهِ في البحر فانَّ منهم من يحملهُ على المعنى المجازي فيقولون انَّ السيد المسيح اراد بالجبل كل امر عويص اعني انَّ الايمان الحيّ يقوى على ما لا يستطيع بهِ ذوو الايمان الضعيف . ولذلك نراهُ عزَّ اسمهُ كان اذا رأى في من يطلب منهُ نعمة كشفاء علة او طرد شيطان لا يتأخر عن منحها اذا وجد ايماناً حياً في الطالب كما فعل مع المرأة الكنعانية التي شفى ابنتها ومع قائد المئة الذي ابرأ غلامهُ . ويؤيدون قولهم بمجازات اخرى وردت عن لسان السيد المسيح لا يجوز تفسيرها بالمعنى الحرفي كقولهِ تعالى (متى ١٩ : ٢٤) انهُ لأيسر دخول الجمل في خرم الابرة من دخول الغني في ملكوت السماوات . وكقول يوحنا في آخر انجيلهِ انهُ لو كُتبت الاشياء التي صنعها يسوع

واحدةً فواحدة لما ظننتُ انَّ العالم كلَّهُ يسع الصحف المكتوبة . فعلى هذا المثال اراد بقوله ان ذا الايمان يستطيع بقوّة ايمانهِ ان يأتي بامور صعبة تعاص على من ليس فيهِ روح الايمان . وهذا كقول القديس بولس في رسالته الى اهل فيلبي (٤ : ١٣) : « اني استطيع كل شيء في الذي يقوّيني » ويعود الى قول الملاك جبرائيل الى العذراء مريم (لوقا ١ : ٣٧) . « ليس على الله بامر مستحيل »

وقد خصَّص غيرهم هذا المعنى المجازي فلم يطلقوهُ على اي امر شاقّ عموماً بل يقولون كما صدَّق على رأيهم القديس اوغسطينوس انَّ المقصود بالجبل هنا انَّما هو الشيطان عدوّ البشر شُبِّه بالجبل لكبريائهِ وعجرفتهِ وتجبُّره فيكون المعنى انَّ صاحب الايمان لو تصدّى للشيطان نفسهِ لخزاهُ وقهرهُ . ويردفون قولهم بشرح ما ورد في نبوَّة زخريَّا (٤ : ٧) حيث يقول الملاك للنبي ان زروبّابل سيقيم الهيكل الذي خربهُ نبوكدنصَّر ولو قام في وجههِ جبلٌ لتحوَّل الى سَهْل . قال القديس ايرونيموس والقديس كيرلُّس والرَّبانيُّون انَّ الجبل هنا هو ابليس الرجيم الذي سيحاول مَنْع زروبّابل عن تشييد هيكل اورشليم لكنَّهُ سينتصر عليهِ ويدحرهُ . دعاهُ جبلًا لعظَمتهِ . ولنا في اللغة العربيَّة ما يشبه هذا المعنى فانَّ العرب يدعون سيّد القوم جَبَلًا كما ترى في المعاجم

وقد علَّقوا على هذا المعنى المجازي معنًى آخر روحيًّا . قال المفسّر الكبير القديس ايرونيموس : انَّ الجبل في عُرف الآباء الروحيين التجربةُ الثقيلة وخصوصاً تجربة الكبرياء والنخفخة التي يغري بها الشيطان قلب الانسان فيثق بنفسهِ دون خالقهِ . وقد ورد في سيرة القديس فرنسيس الاسيزي ما يثبت صحة هذا المعنى . اخبر وَدِيْنغ مؤلف ترجمتهِ انَّ ابليس حاربهُ يوماً بتجربة الكبرياء فضايقَهُ وعنَّتهُ حتى كاد ييأس من غلبتهِ فصرخ الى الله باكياً ليردَّ عنهُ ذلك الوسواس فسمع صوتاً يقول لهُ : يا فرنسيس لو كان لك ايمان كحبَّة الخردل وقلت للجبل انتقِلْ لأنتقل . فلم يدرك القديس معنى الصوت فقال : وما هذا الجبل يا ربّ ؟ . اجاب : هو التجربة . فصرخ فرنسيس بايمان عظيم وثقةٍ تامة : فليكن لي يا رب حسب قولك . وللحال نجا من تجربتهِ

فترى ممَّا سبق انَّ لمعنى هذه الآية المجازي وجهاً صحيحاً وسنداً متيناً

﴿المعنى الحقيقي﴾ ولكن أليس للقائلين بالمعنى الحقيقي دليلٌ ثابت اذ يقولون انَّ الجبل في كلام الربّ هو المرتفع فوق الارض المعروف؟ وإن قيل لهم كيف يقوى

ذو الايمان ان ينقل جبلًا ويهبط به في البحر ؟ أليس هذا من الامور المخالفة للعقل ؟

فيجيب الاولون : كلّا بل هذا من العجائب التي يمكن حدوثها اذا كان للامر موجبٌ معقول . أفهذا أصعب من إحياء الاموات وفتح عيون اكمه مولود اعمى وغير ذلك من المعجزات التي صنعها السيد المسيح وكثيرون من رسله وقديسيه . فهب ان قوماً وُجدوا في احوالٍ حرجة لا طاقة لهم من النجاة منها الا بنقل جبل من مكان الى آخر والتجأوا الى الله ليُفرج عنهم كربتهم بازاحة الجبل فاذا يمنعهُ تعالى ان يجيب الى دعائهم وينقل ذاك الجبل عنهم ؟ اليس هو خالق الجبال ؟ او ليست الجبال كسائر الارض تحت حكمه وقدرته ؟

فيُردف المناقضون فيقولون : لو صَدَقَ قولكم لرأينا صحّتهُ بما يثبتهُ التاريخ . ومع كثرة اصحاب الايمان لم نسمع بجبل انتقل بامرهم

يجيب القائلون بالمعنى الحقيقي : انَّ سبب ذلك ليس قلّة ايمان المؤمنين ولكن لعدم احتياج البشر عادةً الى معجزةٍ كهذه اذ هم في غنًى عنها

ثمَّ يُفحمون التاركين بذكرهم ما رواهُ اوسابيوس المؤرخ الكبير في تاريخه (ك ٧ ف ٢٥) عن القديس غريغوريوس العجائبيّ اسقف قيسارية استنادًا الى شهادة كاتب سيرته القديس غريغوريوس نيصص . فيُروى هناك انَّ القديس وجد في المدينة مكاناً موافقاً لتشييد كنيسةٍ لشعبه الذي ردَّهُ عن الوثنيّة الّا ان جبلًا هناك كان يعيق بناءها بموجب رسمٍ اشار اليه المهندسون . فجاء القديس ليلًا وذكر لربّه ما قالهُ في انجيله انَّ الايمان الحيّ يستطيع نقل الجبال . ثمَّ صلّى بكل حرارة واذا بالجبل أفسح لهم بانتقاله من مكانه وشُيّدت الكنيسة كما ارادوها

قالوا ما صنعهُ غريغوريوس القديس يستطيع رجل الله آخر عند الحاجة ان يُنالهُ . وقد روى الرحّالة الشهير مرقس بولس (Marco Paulo) في رحلته خبرًا يشبههُ قال انَّ بعض ملوك التتر كان تنصَّر قومٌ من اهل مملكته فاراد ان يردّهم عن ايمانهم ويثبت لهم كذب ديانة المسيحيين فطلب اليهم ان ينقلوا جبلًا هناك فان عجزوا عن ذلك عرفوا بطلان ديانتهم . فالتجأوا الى الله فلم يُخيّب أملهم فاقنعوا الملك بصحّة ايمانهم

واعجب من هذا ما يرويهِ المؤرّخون الاقباط في تاريخهم منهم ابن الراهب من كتبة القرن الثالث عشر الذي نشرنا تاريخهُ سنة ١٩٠٣ (ص ١٣٣) واقدم منهُ

ساويروس ابن المقفع اسقف الاشمونين في تاريخ بطاركة الاسكندرية (ص٥٧٦ من نسخة مكتبتنا الشرقية) كان في القرن العاشر للميلاد وقد روى الواقعة الشماس منسى القمص في تاريخه الحديث للكنيسة القبطية (صفحة ١٩٣) ودونك الخبر عن اسقف الاشمونين زويه على علاته دون ان نقضي بصحته او ببطلانه. فمد ان اخبر الكاتب بانتخاب الاقباط لرجل صالح اسمه افراهام بن زُرعة جملوه بطريركاً عليهم وروى جملة من اعماله الصالحة ذكر ما حدث له مع وزير الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وكان الوزير يهودياً أسلم طمعاً بالمراتب فاثبت البطريرك ظلمه وظلم اليهود في جباية الاموال من النصارى فغضب الوزير وطلب للبطريرك عثرة لينتقم منه. قال ساويروس (٥٧٨—٥٨٢):

« وفي بعض الأيام وجد الوزير سبيلاً الى ان قال للمعز: مكتوب في الجيل النصارى « انَّ من كان فيه مثل حبَّة خردل من الايمان فانهُ يقول للجبل انتقل واسقط في البحر فيفعل» فَنَيرَ امير المؤمنين رأيهُ في مطالبتهم بتصحيح هذا القول ليعلم انهم على مُحال وكذب وإنَّ هم لم يفعلوا وَجبَ ان يُفعَل بهم ما يستحقونهُ على كذبهم. فوافقهُ الخليفة المعزّ على هذا الكلام وانفذ فطلب الانبا افراهام البطرك وقال لهُ: ماذا تقول في هذا الكلام أهو في الجيلكم ام لا؟ قال البطرك: نعم هو فيه. قال: هوذا انتم نصارى وربوات في هذه البلاد فأريد ان تُحضر لي واحدًا منهم تظهرُ هذه الآية على يده وانتَ يا مقدَّمهم يجب ان يكون فيك هذا الفعال والاَّ أفنيتكم بالسيف

«حينئذٍ بُهت البطرك ونالهُ خوفٌ عظيم ولم يدرِ ما يجيبهُ به. فألهمهُ الله تعالى أنْ قال لهُ: « أمهلني ثلثة أيام حتى ابحث واطلب من الربّ جلَّ اسمهُ ان يُطيّب قلب امير المؤمنين على عبيده » فأمهلهُ وعاد الى منزله بمصر واحضر الكهنة والاراخنة بمصر وجميع الشعب الاورثذكسي وعرَّفهم الامر وهو يبكي. وكان بمصر جماعة من رهبان وادي هبيب فجعل على جميعهم قانوناً أن لا يمضي احدهم الى منزله في الثلثة الأيام وان يجتمعوا لمداومة الصلاة في البيعة الليل والنهار ففعلوا ذلك الثلثة الأيام مع لياليها. وأمَّا البطرك فلم يفطر فيها بالجملة. وبعضهم كان يفطر من الليل الى الليل على خبز وملح وماء يسير « ولم يزل الانبا افراهام البطرك قائماً يبكي بين يدي الله

سبحانهُ في تلك الأيام ولياليها حتى لم يبتَ فيهِ حركة . وكان هذا الاجتماع المبارك في كنيسة السيدة بقصر الشمع المعروفة بالمعلقة . فلمَّا كان صباح اليوم الثالث سقط البطرك القديس على الارض من حزن قلبهِ وصيامهِ وتعبهِ وغفيَ غفيةً يسيرة فرأى السيدة الطاهرة مريم وهي تقول لهُ بوجه فرح : ما الذي اصابك ؟ . فقال لها : أما تنظرين حزني يا سيدتي فانَّ ملك هذه الارض قال لي : «إن لم تُظهر لي في هذا اليوم آيةً من الجبل والَّا قتلتُ جميع اهل النصرانيَّة بديار مصر وأبدتُهم من مملكتي بالسيف . فقالت لهُ السيدة : لا تخَفْ فاني لا اغفَلُ عن الدموع التي سكبتَها في بيعتي هذه . قُم الآن وانزل من ها هنا واخرج من باب درب الحديد الذي يؤدّي الى السوق الكبير . ففيما انت خارج تجد انساناً على كتفهِ جرَّة مملوَّة ماء ومن علامتهِ انهُ بعَيْن واحدة فامسكهُ فهو الذي تظهر هذه الآية على يديهِ »

«فاستيقظ البطرك للوقت وهو مرعوب وكان غلَس النهار فنهض بسرعةٍ ولم يدع احداً يعلم بهِ حتى وصل الى الباب فوجدهُ مغلقاً فشكَّ في قلبهِ وقال : اظنُّ انَّ الشيطان قد لعب بي . ثمَّ دعا البوَّاب فتح لهُ . وكان اوَّل من دخل من الباب الرجل الذي قيل لهُ عنهُ فأمسكهُ البطرك وعمل لهُ مطانيةً وقال لهُ من جهة الربّ : ارحم هذا الشعب . ثمَّ اخبرهُ عن السبب في اجتماعهِ بهِ . فقال لهُ الرجل : اغفر لي يا ابي فاني انا خاطئٌ ولم ابلغ الى هذا الحدّ . فعند ذلك اخبرهُ البطرك بما قالت لهُ السيدة الطاهرة عند ظهورها لهُ ثمَّ قال لهُ : ما صناعتُك ؟ فاراد ان يخفيهُ امرَهُ . فجعل البطرك عليهِ الصليب وربطهُ بالحرم ان اخفى عليهِ شيئاً من امرهِ فقال لهُ :

«انا اخبرك بحالي فاني رجلٌ دبَّاغ وهذه العين التي تراها فإني قلعتُها لاجل وصيَّة الربّ عند ما نظرتْ نظرًا فيهِ شهوة ورأيتُ اني ماضٍ الى الجحيم بسببها ففكَّرتُ وقلتُ : الاصلحُ لي أنْ امضي الى الحياة بفرد عين كما قال السيد المسيح فذلك خيرٌ من ان امضي الى الجحيم بعينين . وانا في هذا الموضع اجيرٌ لرجلٍ دبَّاغ ما افضَلُ ممَّا اعملُ بهِ في كلّ يوم الَّا خبزًا آكلهُ واعطي الباقي للمستورين المنقطعين من الاخوة نساء ورجالاً وهذا الماء استقيهِ لهم كلّ يوم قبل ان اذهب الى شغلي فامضي بهِ الى قومٍ فقراء منهم من لا قدرة لهم على شراءهُ من السقَّاء . فنهاري كلُّهُ اعمل في المدبغة وفي ليلي قائمٌ اصلّي . فهذه قضيَّة حالي فاسألك يا ابي ان لا تُظهرني لاحدٍ فليس لي

قدرة ان احتمل بجد الناس بل الذي اقولهُ لك فافعل بهِ :

« أُخرج انت وكهنوتك وشعبك كلهُ الى الجبل الذي يقول لك الملك عنهُ ومعكم الاناجيل والصلبان والمجامر والشمع الكبير وليقف الملك وعسكرهُ في جانب وانا خلفك قائم في وسط الشعب بحيث لا يعرفني احد . وانت وكهنوتك صيحوا قائلين : « يا ربّ ارحم » ساعةً طويلة ثمّ مُرهم بالسكوت والهدو . وتسجد ويسجدون كلهم معك وانا اسجد معكم من غير ان يعرفني احد وأفعَلْ هذا ثلث مرّات . وكلّ مرّة تسجد وتقف ثمّ تصأب على الجبل فسترى مجد الله

« فلمّا قال هذا القول طاب قلب البطرك بما سمعهُ منهُ ثمّ نهض وجميع الشعب معهُ وصعدوا الى الملك وقالوا لهُ : اخرج الى الجبل . فأمر جميع عساكره وخواصهِ ووجوه دولتهِ بالخروج وضُربت البوقات وخرج الملك المعزّ ووزيرهُ معهُ ففعل الاب البطرك كما قال لهُ ذلك القديس ووقف الملك المعزّ واصحابهُ في جانب وجميع النصارى والبطرك في جانب آخر ووقف الرجل خلف البطرك ولم يكن في الجمع من يعرفهُ الّا البطرك وحدهُ وصرخوا : « يا ربّ ارحم » دفعات كثيرة ثمّ امرهم بالسكوت وسجد على الارض وسجدوا جميعهم معهُ ثلاث دفعات وكلّ دفعة يرفع وجههُ ويصأب فيرتفع الجبل عن الارض فاذا سجدوا نزل الجبل الى حدّهِ . فخاف الملك المعزّ خوفاً عظيماً وصاح الملك والمسلمون « الله اكبر لا اله غيرك » ثم قال الملك المعزّ للبطرك بعد ثالث دفعة : حسبُك يا بطرك قد عرفتُ صحّة دينكم

« فلما هدأ الناس التفت البطرك يطلب الرجل القديس فلم يجدهُ . ثمّ قال الملك للبطرك الانبا ابراهام : تمنّ شيئاً أفعلهُ لك . فقال لهُ : لا اتمنّى الّا ان يثبّت الله دولتك ويعطيك النصر على اعدائك . فقال لهُ : لا بُدّ ان تتمنّى شيئاً . واعاد عليهِ القول ثلاث دفعات . قال لهُ البطرك : ان كان ولا بُدّ فانا اسأل مولانا أن يأمر إنْ امكن ان تُبنى بيعة ابي مرقورة بمصر لانهم بعد ان كانوا هدموها لم يمكنونا من عمارتها وجُعلت شونةً للقصب . وكذلك بيعة المعلّقة بمصر في قصر الشمع فانها انهدم من حيطانها شيء كثير واختلّ بعضها فأسأل الإذن في عمارتها ايضاً

« فامر المعزّ للوقت بتمكينهِ من ذلك واطلق لهُ من بيت المال ما يصرفهُ في العمارة فاخذ السجلّ واعاد المال وقال للملك المعزّ : الربّ يثبّت ملكك وبيتُ المال

احقُّ بهذا المـال . فلمَّا قرأ السجلّ عند بيعة ابي مرقورة اجتمع الباعة الـذين هناك واوباش الناس وقالوا: لو قتَلْنا اجمعين سيفٌ واحد ما مكّنا احدًا يجعـل حجرًا على حجر في هذه البيعة . فعاد البطرك الى الملك المعزّ فانفذ الملك من يمكّنـهُ بالعمل فبنَوا فيهِ لوقتهِ ولم يجسر احد ان ينطق بكلمة الّا شيخٌ واحد كان يصلّي باولئك الباعة في ذلك المسجد الذي هناك وهو الذي كان يجمع الجموع ويُثيرهم فرمى نفسهُ في الاساس وقال: أُريد اليوم ان اموت على اسم الله ولا ادع احدًا يبني هذه البيعة . فعلم الملك المعزّ بذلك فامر ان تُرمَى عليهِ الحجارة ويُبنَى فوقـهُ . فلمَّا رُمِيَ عليهِ الحِير والحجارة اراد ان يقوم فلم يمكّنهُ الاعوان لان المعزّ امر بدفنـهِ في الاساس الـذي طرح نفسهُ فيهِ . فلمَّا رأى البطرك ذلك نزل عن دابَّتهِ وتطارح بين يدي المعزّ وسألهُ فيهِ الى ان امر بإصعادهِ من الاساس فما صدَّق ان يُفات منهُ سالمًا بعد ان اشرف على الموت . وعاد الملك المعزّ الى قصرهِ فلم يجسر احد بعد هذا ان ينطق بحرف واحد الى ان كملت عمارة البيعة وكذلك بيعة المعلقة بقصر الشمع وكلّ البيع التي تحتاج الى عمارة فلم يعترضهُ احد في شيء من ذلك» (١)

هذا ما نقلناهُ بحرفهِ الواحد من تاريخ ساويروس بن المقفّع الـذي كان معاصرًا للحوادث التي اخبر بها رويناهُ على علّاتهِ دون ان نجزم بصحّتهِ . وكنَّا نودّ لو روى هذا الخبر غير الاقباط الى ان وجدناهُ في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمني الذي طُبع في اوكسفرد عن نسخة باريس . وكان هذا المؤلف في اواسط القرن الثـاني عشر ففي الصفحة ٤٤—٤٥ ذكر بيعة الشهيـد مرقوريوس وذكر هناك كيف جدَّدها الانبـا افراهام السرياني وروى قصَّة الجبل المتحرّك بأمانة الدبّاغ . وقـد خالف رواية ابن المقفّع في بعض الامور منهـا انهُ لم ينسب الامر الى الملك المعزّ لدين الله بل لابنـهِ العزيز بالله الذي خلف اباهُ سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) وعيَّن الجبل الـذي تحرَّك بصلاة المسيحيين فقال هو جبل المقطَّم والله اعلم

وعلى كل حال يستنتج من هذه القصَّة انهُ ليس بمستحيل على الله لنجاة عبيدهِ من البلايا او لغاية اخرى شريفة ان يسمح بالمعجزات حتى بنقل الجبـال ان اقتضى الامر

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فرديناند توتل اليسوعي

ليس يوسعني ان افتتح اخبار رحلتي الى بلاد الجليل بكلام افصح ومعاني ابلغ وأجدر بالموضوع من ان اصدّر مقالتي بمستهلّ الرسالة الرعائيّة التي زفّها صاحب السيادة المطران غريغوريوس حجّار الكلي الوقار الى ابناء ابرشيته في ابتداء الصوم المبارك في هذه السنة ليحثّهم على القيام بواجباتهم الدينية والاقبال على سماع الرياضات التي تفوّض الينا امرها. قال الراعي الغيور :

« تدور السنة دورتها بتوالي شهورها وتعاقُب فصولها . . . وها بعد ايام الشتاء المطير اذ سُقيت اراضيكم والحمد لله بوابل الغيث بما فيه من بركات السماء وحياة الرجاء. عاد الربيع (او كاد) بتباشيره الجليلة وابتساماته اللطيفة وافاعه العطرة. عاد الربيع حاملاً بين يديه للارض حُلّتها السندسية مرصعةً بازاهيرها النضرة ممّا يترنّ به الناظر وتشرح به الصدور فهو انتعاش الطبيعة وظهور الحياة بعد كمونها فأهلاً به وسهلاً كذا ينادي كل انسان شيخاً كان او شاباً كهلاً او طفلاً »

« ان لنا ايها المسيحيون ربيعاً روحياً ليس ما وصفناه لكم الّا صورةً ضعيفةً لهُ ربيع النفوس بجمالهِ الفتّان وعوائدهِ المنعش الفيّاض بالحياة السماوية ربيعنا الروحي ايها المسيحيون هو هذا الزمن المبارك زمن الصوم الاربعيني » . . .

« على انّا لنرط محبتنا لكم ايها الابناء الاعزاء شتّا باسم الكنيسة المقدسة في هذه الايام الخلاصية ان تساعدكم على قهر الشيطان عدوّكم اللدود وكل جنود الخطيئة وعلى تقديس نفوسكم تساعدكم باقامة رياضة روحية لجمهوركم العزيز » . . .

هذا ما كتبهُ سيادتهُ وقد نشرت مجلة « المشرق » الغراء صفحاتٍ من اعمال متروبوليت عكا يفتخر بها كل كاثوليكي لِما يعود على الجسم من البهاء الساطع من الرأس لكنها اقتصرت على ما « استتر » من اعمال المطران وتركت لسواها ان يروي ما شاهده وهو ظاهر للعيان من الاعمال الخيرية المختصة بالطائفة

امّا نحن وقد تجوّلنا في هذه السنة مدةً تنيف على ثلاثة اشهر في اصقاع الجليل ورأينا عن كثب احوال المؤمنين القيمين في قرى اكثرها بعيدة عن المدن وعن طرق

للواصلات الكبرى فقدَّرنا مساعي الاسقف حقّ قدرها كيف لا وهو الذي شاد الكنائس واقام عليها الكهنة ورفع عليها لواء الصليب وأنعش روح الكثلكة في قلوب ابنائهِ حتى غبَطهم اخوانهم الروم لا بل المسلمون والدروز نفسهم بما يجدونهُ من عناية راعيهم بهم واهتمامهِ بشؤونهم وبذلهِ النفس والنفيس لصيانة حياتهم وحقوقهم المدنيَّة والدينيَّة معاً

فيتاح اذًا لنا ان نصف ما شاهدناهُ وعرفناهُ ولعلَّهُ لم يسبقنا غيرنا الى طَرْق هذا الموضوع ولاسيما اننا لم نقتصر على تدوين ما يُناط امرهُ بالابرشية العكاوية فقط بل تقصَّينا البحث ايضاً لدى حضرة الاباء الاجلاء خوارنة الرعايا وغيرهم من الاباء عمَّا يفيد القراء عن احوال تلك البلاد وسكَّانها وعن اسماء أُسرها الوطنيَّة وزدنا على ملاحظاتنا الشخصية ما اقتبسناه من مؤلفات الاجانب مما رأيناه منيراً للعقول رافقاً للمطالعة فجاءت مقالتنا صلةً لما نشرناهُ في المشرق في العام الماضي في عددَيهِ ايلول وتشرين الاول

من زحلة الى الشام

﴿معلقة زحلة﴾ عقرب ساعةٍ يتحرَّك وجرسٌ يطنّ ، خمس عشرة دقيقة مضت على الظهيرة ، قطار يصعد من البقاع الى بيروت وقطار ينحدر من روابي لبنان ، فأيهما نختار قاصدين فلسطين ؟ فكلاهما يبلغ الغاية وسيَّان السفر عن طريق بيروت او عن طريق الشام لأن السيَّارات اذا قطعت ساحل لبنان الجنوبي بارت بسرعتها القطار الجاري من دمشق الى حيفا عن طريق درعا وسمخ

على ان طبريَّة وهي اول خطَّة اقرب الينا عن طريق الشام وقد تدعونا الى السفر اليها عن طريق البادية آمالنا بمشاهدة مناظر جديدة وباختبار بعض ما نجهلهُ من احوالها فنستفيد ونفيد ان شاء الله

ركبنا قطار الشام وسرنا . قطعنا سهل البقاع وتوقَّفنا في لبنان الجنوبي فاذا الصخور تحفُّ بنا على الطرفين فتحجب الافق عن العين فمن ثمَّ سنحت فرصةٌ لنتعرَّف بمن حولنا من المسافرين . وراءنا قسمٌ من المركبة الكبرى خُصَّ «بالحريم» . مبرقعات ملتحفات لا يُسمع لهنَّ صوت كأنهن ما كُنَّ . وما بيننا الرجال وامرأةٌ ووالدها

وهي تتجاذب اطراف الحديث بينهُ وبين زوجها وبين المسافرين وهي مكشوفة الوجه ثرثارة كسائر بنات حواء وزوجها يخاطبها ولا يُظهر ادنى استياء لمداعبتها ولدها امامنا . وهذا ما دفع احد المسافرين الى ان يقول جهارًا : « انتم تؤمنونهنَّ وهنَّ يؤمنونكم اما عندنا فلا هي تؤمنهُ ولا هو يؤمنها » فوجدتُ في هذا الحديث حلًّا لمشكل طرحتهُ على نفسي يوم رميت نظري على سجلّ الحكومة فصرختُ : ويلاه « ما اكثر عدد المطلّقات » ؟

بالقرب مني رجل ارمني أُرْفليّ هرب من وطنه اورفا وقد قتل الاتراك اخوتهُ الستة وضبطوا اموالهُ . ومثلهُ كثيرون يتنقّلون من محطّة الى محطّة بين بيروت ودمشق يلتمسون شغلًا يرتزقون بهِ

بلغنا محطة درغايا وهي واقعة على علو ١٤٠٥ امتار فوق سطح البحر على خطّ تقسيم للمياه . ما وقف بنا القطار الّا ونفحتنا ريح باردة ذكّرتنا اننا في اواخر شباط وكدنا ننسى الشتاء لما كان لشمس يومنا من الدفء المنعش . هوذا نهر البردى تحفُّ بهِ الاشجار عاريةً من اغصانها فيُتاح لنا ان نكشف من خلالها على عدة قرى خرج نساؤها يغسلن ثيابهنَّ وينشرنهن على الصخور منتهزات فرصة شمس الشتاء . وكاني بالقطار يُخفُّ سيره كلما اقتربنا من الحاضرة فنهض المسافرون ينظرون من المنافذ ويتمعّنون العيون بمناظر دمشق وقد ارسلت عليها شمس الغروب اشعّتها الارجوانية فذكّرنا بها وصْفها بما يرويهِ المسلمون عن نبيّهم : عليكم بالشام فانها صفوة الله يُسكنها خيرتهُ من خلقهِ »

ما اشدّ الموانع التي تعرقل سير المسافرين فان تأشير القنصل الانكليزي على تذكرة المرور يكلّف اكثر ما تتقاضاه ادارة السكة لتحمل الركاب من دمشق الى حيفا فضلًا عمّا يصادفه المسافر من المصاعب والمماطلة عند عمّال القنصليّة . على اننا توسّمنا بالمحن خيرًا وأمّلنا منها نجاح رسالتنا لان الخبرة علّمتنا ان المشاريع الروحية اذا صادفت معاكسة في بدئها آل امرُها الى تعزية وخير اعظم

من دمشق الى طبرية

سافرنا من محطة الحجاز الساعة السابعة صباحاً نهار الاربعاء . القطار يسير بين

دمشق وحيفا ثلاث مرات في الاسبوع الاثنين والاربعاء والجمعة وقيمة ورقة السفر الى حيفا لا تتجاوز ثلاث ليرات سورية. ومعلوم ان السفر بالسيارات من بيروت الى حيفا لا تقلّ نفقتهُ عن ست ليرات سورية

رأيت المتوظفين من الافرنسيين في المحطّات وقد استلموا مهامّ وظائفهم من عهد قريب وسمعت بعض المسافرين يرددون ما قرأوه في بعض الجرائد عن تسليم رأس الخط الحجازي الى الشركة الافرنسية. ومما طال الجدال حوله ان هذا الخط قد شيّده عبد الحميد لغاية سياسية اكثر منها دينيّة وان مراده به كان تسهيل حشد العساكر وانه اذا خرج عن ادارة الحكومة المتندبة وقع في ايدي حكومة اجنبيّة معادية لمصالح سورية الخ... والقوم يمزجون في كل ذلك الغثّ بالسمين

تحرّك القطار من دمشق وسار في سهل الغوطة الشهير بخصبه وقد زيّنتهُ اشجار الزيتون ومدّ فيهِ الربيع للمواشي سُفرةً يانعة من الكلإ الكثيف الاخضر غذاء هنيئاً

قطعنا الغوطة فجعل القطار يبطئ في سيره فيما هو يقطع الاراضي الواقعة بين حدود الشام وحوران وكنا نرى يميناً وشمالاً البراري الواسعة تتبسّم لشمس آذار في حقول حوران الحمراء. فاخذ احد المسافرين وهو بدوي من اهل تلك الاصقاع يفيدنا افادات جمة عن اهاليها. ومما اذكره من كلامهِ قولهُ :

« ان سكان قرى حوران من مسيحيين ومسلمين يتعاطون الفلاحة ورعاية المواشي. وفي نواحي اللجا يقطن اثنتا عشرة قبيلة من العربان، منهم عدوان وشيخهم طلال. والمراشد وشيخهم احمد الفصن. ورماح وشيخهم صالح العلوان. واللذوق وشيخهم جامد الجفيان. والطبوب وشيخهم ظاهر الغرير الخ. وما بينهم وبين الدروز احقاد وضغائن. وقد قتلوا منهم قوماً كثيراً وهم انفسهم ينقسمون الى حزبين حزب طلال وحزب احمد الفصن»

وقف بنا القطار في «درعا» نحو الساعة الحادية عشرة فرأينا قريباً من المحطة بنياناً جديداً وكنيسة للكاثوليكيين شادتها امرأة افرنسية وفاء لنذر نذرتهُ. وبلغنا ان الفرنسيين يغرسون الاشجار في المدينة ويصلحونها للسكنى فان هواءها طيب وموقعها خطير الشأن وهي على مفارق الطرق بين عمّان وسوريّة وفلسطين

أعطيت للمسافرين فرصة ليأخذوا نصيبهم من الزاد في الفندق المجاور المحطة.

ثم عدنا الى القطار فمرَّ بنا رجال الشرطة الافرنسيون يتفقدون اوراقنا وما لبث ان سار بنا القطار بين حائطين من الصخور الضخمة . ثم نظرنا فاذا نهر اليرموك احد روافد الاردن يرافقنا وسوف نسير على حافتيه الى آخر الحدود بين سورية وفلسطين. ولله درّ ما هنالك من المناظر الفتانة التي كنا نتمتع برآها بينما كان القطار يتلوّى في ذلك الوادي كالافعي تارةً الى اليمين وتارةً الى الشمال كاشفاً لنا في كل دقيقة منظراً جديداً ومشهداً بديعاً من وادي اليرموك وهو الآن في زمن ربيعه

في القرن السابع للمسيح على جانب هذه المياه جمع خالد بن الوليد جموعه ، وكانت نَجدات العرب قد وافتهم من المدينة ، وقُهر عسكرُ البيزنطيين وزحف على الشام فكانت تلك الضربة القاضية على ملك الروم في سورية . واليوم نقرأ في الجرائد ان سلاطين بني عثمان العظام سقطوا من اوج عزّهم بعد ان سادوا بلادنا اجيالاً . فسبحان الباقي

وصلنا ﴿ الحَمَّة ﴾ وهي آخر محطة تفرقنا عن حدود فلسطين فمرَّ بنا رجال المكوس وافتقدوا امتعتنا

وبعد هنيهة وقف القطار في محطة ﴿ سمخ ﴾ وهي غاية سفري في السكة الحديدية وهناك وجدت مركبة نقلتني انا وبعض الاشخاص الى مدينة طبرية على شاطئ البحيرة فدخلنا المدينة نحو الساعة الرابعة والربع . وكنا قد قطعنا بين الضحى والعصر مسافة تناهز المئتي كيلومتر

مدينة طبرية

طبرية مدينة صغيرة واقعة غربي بحيرة الجليل ، شتاؤها ربيع ، اذا ارتوت اراضيها اكتست هضابها حلّةً سندسية وترصّعت بالزهور وتعطرت بنفحات النسيم . اما صيفها فلهيبُ نارٍ لاسيما اذا انحبس عنها الهواء وخيّم فوقها البخار المتصاعد من المياه تحت اشعة الشمس المنحدرة من العلو والمنعكسة من الآكام الجرداء المحدقة بالبحيرة .

زرتُها في اوائل آذار فألفيتها آهلةً وقد غصت أزقّتها الضيقة بجمهور البائعين والمتسوقين والسيّاح

معظم سكانها يهود وعددهم يناهز ٥٧٠٠ وينقسمون الى اسكناج (وطنيين)

وسفرائيم (مهاجرين) ومن وجهائهم بيت حديف وروبينو وابو العافية. امّا المسلمون فهم ١٨٠٠ ومن وجهائهم بيت طبري وبيت الخرطبيل . والمسيحيون على اختلاف الطوائف ٢٨٠ منهم بيت الغريب وجبران وكنايه وهزلا. ينتمون الى اصل واحد وهو بيت حواء ومنهم ايضاً بيت معلوف المصلح والعلبوني والبشت والشريخ والقردحجي وكرم ودرويش

تهافت اليهود الاجانب الى طبرية تلبيـة لدعوة الصهيونية وما بينهم الالمـاني والافرنسي والاميركاني والروسي والبولوني وقد حفظوا لغتهم والازياء التي تقلّدوهـا عن بلادهم

والسيادة في طبرية هي لليهود وقد جعلوها قاعدتهم بعد القدس وصفد وقد كان لها في قدم الزمان مدرسة للربانيين شهيرة. واحتكر فيها اليهود المرافق وتسلطوا على سائر العناصر. فلهم الوظائف في الحكومة وهم ارباب الحركة التجارية ولا يكادون يبتاعون شيئاً الّا من اهل ملّتهم

وهذه اثمان الحاجيات في طبرية الآن بالقرش المصري :

الطحين	الرطل	٣	السكر المكعّب	الرطل	بين ١١ و ١٣
السمن البقري	»	من ٣٠ الى ٣٦	السكر الناعم	»	» ٩ و ١١
اللحم بعظمه	الاوقية	٢	الزيت	»	٧
اللحم بلا عظم	»	٣	الماء	٦ تنكات من البحر	١
العدس	الرطل	٢ و ٣	الماء	٦ تنكات من البير	١
الحمص	»	٢	البيض	١٢ او ١٥ منهُ	٥
الحليب واللبن الاربع الاواق		١	البطاطة	الرطل	من ٣ الى ٦
الرز العالي	الرطل	١٢ و ١٥ و ١٨	السمك	»	من ١٢ الى ١٨

والصيد في البحيرة مباح للجميع. على ان المسلمين والمسيحيين وحدهم يعرفون اصوله ومراكزه فلا يُفسحون لغيرهم سبيلاً اليه. وهم يُصدرون الاسماك يوميًّا الى حيفا ويافا والقدس واغلبها يصطادونه في جهة البحيرة التابعة للانتداب الافرنسي فيؤدّون عنه الضرائب المفروضة

وممّا اشتهرت به طبرية آثارُها القديمة وحمّاماتها. خرجنا من المدينة الى جهة الجنوب وسلكنا الطريق الكبرى فوجدنا عن اليمنة آثار بنايات الاقدمين لا تزال تطلّ على

البحيرة من علو الآكام. ورأينا على الارض وفي المياه قطع عواميد واحجار اقتلعتها الزلازل ورمتها بعيداً وهي الدليل على ما وصلت اليه حضارة السلف في تلك الارجاء.

اما ﴿الحمامات﴾ فمعروفة من القاصي والداني وهي تبعد نصف ساعة عن المدينة يتهافت اليها الناس زرافات ووحداناً وفيها حوضان كبيران الواحد للنساء فقط والآخر للرجال والنساء ولكل من الفريقين اوقات معيَّنة . وفيها مغاطس منها ما يسع بضعة اشخاص ومنها ما لا يسع الَّا شخصاً واحداً . والحمامات مسقوفة بقُبَب فيها عيون زجاج يلج بها النور وليس في البنايات شيء من فن البناء الذي رأيناه في حلب ودمشق

وحرارة هذه المياه المعدنية عند اندفاعها من النبع هي في درجة الستين واكثر (من ميزان سنتيغراد) وتتناهز درجة الاربعين في الاحواض

ومنافع حمامات طبرية عظيمة شهيرة في تنشيط القوى ومداواة الامراض الجلديَّة ولا يكاد يبقى فيها انسان اكثر من ساعة وربَّ رجلٍ مصاب بالقلب أُغمي عليه عند دخولها

وقد ورد ذكر طبرية في تاريخ لبنان لانه لما خرج الوهابيون في اواخر القرن الثامن عشر وحملوا على الشام اضطرب يوسف باشا والي دمشق واستغاث بسليمان باشا والي عكَّا وبالامير بشير الشهابي واستنجدهما على الوهابيين . وكان الامير بشير في عزّه فتقدم الى طبرية بخمسة عشر الف لبناني ومعه الشيخ بشير جنبلاط فلم ينتظر الوهابيون قدوم اللبنانيين وولّوا الادبار قبل وصولهم الى طبرية

بحيرة طبريَّة

خرجنا من طبرية قُبَيل الغروب من الجهة الشماليَّة فقطعنا السكة العريضة التي تنحدر من الغرب الى البحيرة فلاحت لنا انقاض القلعة القديمة التي كان ظاهر العمر اولًا ثم محمد علي جددا بناءها ثم دمَّرتها زلازل سنة ١٨٣٧ . هناك نصب اليهود خشبةً لابنائهم جنسهم لا يتجاوزونها اذا ساروا في يوم سبت فيحفظون سُنَّة أُمَّتهم في المسافة التي يجوز لهم قطعها . بلغنا الى دير راهبات الفرنسيسكانيات فدخلناهُ وجلسنا في الرواق ننظر الى البحيرة

كانت الشمس قد توارت وراء روابي الجليل لكنها تبعث ضياءها في جوف

السماء فينعكس علينا باشعّة بنفسجية زرقاوية تطلي المياه والشاطئ بالوان فتّانة . سكتت الريح فبدت البحيرة هادئة صقيلة كالمرآة فخاطرنا ذكرُ الرب يسوع الذي اختار هذه البلاد مشهداً لعجائبه العظمى . فكم من مريض شفي على ضفاف البحيرة وكم من كلمات طارت من فم المخلص ورفرفت على رؤوس الملإ فأصدت لها الآكام وارسلتها الى اقاصي الزمان والمكان

اليك قصة الصيد العجائبي الاول (لوقا ٥ : ٤—١١)

ولما فرغ يسوع من الكلام قال لسمعان : تقدّم الى العمق وألقوا شباككم للصيد . فاجاب سمعان وقال لهُ : يا معلم انّا قد تعبنا الليل كلّهُ ولم نُصِبْ شيئاً ولكن بكلمتك ألقي الشبكة . فلمّا فعلوا ذلك احتازوا من السمك شيئاً كثيراً حتى تخرّقت شبكتهم . . . فقال يسوع لسمعان : لا تخف فانك من الآن تكون صائداً للناس

وهذه رواية الصيد الآخر الذي حدث بعد قيامة الربّ (يوحنا ٢١ : ٣—٧)

« قال سمعان بطرس للتلاميذ : انا ذاهب لاصطاد . فقالوا لهُ : ونحن ايضاً نجيء معك . فخرجوا وركبوا السفينة ولم يصيدوا في تلك الليلة شيئاً . فلما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ ولم يعلم التلاميذ انه يسوع فقال لهم يسوع : يا فتيان هل عندكم شيء من المأكول ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : ألقوا الشبكة من جانب السفينة الأيمن فتجدوا . فألقوها فلم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك . . . »

ولكن شتّان ما بين هدوء البحيرة في هذه الساعة وهيجانها يوم ختام الرياضة العمومية اذ اصبحنا والمطر يهطل مدراراً والريح تصفر في شقوق الابواب والمنافذ وتزعزع المساكن على ان ساعة الرحيل ازفت فما عتّم حضرة الاب يوحنا برصا خوري الرعية ان وجد لنا مطية وركبناها وسرنا على ضفاف البحيرة مدةً قاصدين الى المغار

فتيسر لنا حينئذ ان نشاهد بأمّ العين الزوبعة تتلاعب بامواج خلناها كامواج مضيق المانش بين فرنسة وانكلترّة صولةً وعلوّاً فلا عجب أن غرق فيها اثنان من السيّاح مؤخراً اذ كانا مع صاحب زورقهم في شمالي البحيرة وسطح الماء هادئ لا تجعده نسمةٌ واذا بريح عاصفة هبّت بغتة فقلبت الزورق وما فيه فنجا التركي بنفسه سابحاً وغرق السائحان في اليم العجّاج المتلاطم بالامواج

فما كان مشهدٌ اكثر تأثيراً فينا من المشهد المتجلي امامنا . يساعدنا على استحضار

الرواية الانجيلية (متى ٨: ٢٣-٢٧):

« ولما ركب يسوع السفينة تبعهُ تلاميذهُ واذا اضطراب عظيم حدث في البحر حتى غمرت الامواج السفينة وكان هو نائمًا فدنا اليهِ تلاميذه وايقظوه قائلين: يا رب نجنا فقد هلكنا. فقال لهم: لماذا انتم خائفون يا قليلي الايمان. حينئذٍ قام وانتهر الرياح والبحر فحدث هدوء عظيم فتعجب الناس قائلين: اي انسان هذا فان الرياح والبحر تطيعهُ »

ابتعدنا عن طبرية مسافة خمسة كيلومترات فبلغنا قرية ﴿مجدل﴾ وهما مجدلان حديثة وقديمة فالحديثة استعمرها اليهود الصهيونيون وهي بعيدة عن الشاطئ واقعة في سهل جنّاسر المُغتصب اما القرية القديمة فهي اماكنا لا يمثلها الّا بعض اكواخ حقيرة بُنيت على انقاض ذات شأن فانَّ المسيحيين ولاسيَّما الصليبيين كانوا يعتبرون هذه القرية كمتقط رأس القديسة مريم المجدليَّة فشادوا كنيسةً في المحل الذي يقدّرون وجود موقع بيتها عندهُ لكن الفاتحين العرب دمَّروا الكنيسة وجعلوها اصطبلًا. امَّا الاباء الفرنسيسكانيون فابتاعوا في مجدل ارضاً يسعون بفلاحتها ريثما يتيسَّر لهم ان يبنوا فيها كنيسةً جديدة تذكارًا للقديسة مريم المجدليَّة

ولا ريب في ان السيد المسيح كان يتردَّد على هذه القرية في ايابهِ وذهابهِ بين كفرناحوم مركز تبشيرهِ والناصرة بلدتهِ لان السير كان اقرب اليه عنها من طريق طبرية وهي اذ ذاك مدينة وثنيَّة كان اليهود يتجنبون دخولها. ولما لم يكن طريق طبيعي يصل البحيرة باواسط الجليل الّا الطريق المنحدر من الآكام الى سهل جناسر لمن اراد ان يتجنب طريق طبرية اصبح محسوساً لدينا اننا في سيرنا نتبع الطريق التي سار عليها الرب. لكنَّ الوحل المتراكم فيها في فصل الشتاء المطير ابطأ سيرنا فلم نبلغ المغار الّا خمس ساعات بعد خروجنا من طبرية

وقد اخذت السيارات تقطعها منذ اضطرَّت الحكومة الاهلين على فتح حقولهم لمرورها فتسير حينئذٍ من طبرية الى مجدل الى المغار الى عيلبون الى الناصرة

(لها بقيَّة)

الشاعر صالح بن عبد القدُّوس

نظر تاريخي ادبي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ بين الشعراء الذين امتازوا في اوائل الدولة العباسيَّة رجلًا حكيماً يُشعر ما بقي من نظمهِ بدقَّة فكرهِ وحسن آدابهِ نزيد بهِ صالح بن عبد القدُّوس بن عبدالله ابن القدُّوس

على انَّ اخبار هذا الشاعر قليلة مضطربة لا تكاد تروي غليلًا فلا نعلم شيئاً من اصلهِ وموطنهِ وآدابهِ ويؤخذ من كلام الرواة انهُ عاش بالبصرة واحتلَّ دمشق. ومن اعجب ما يروى عنهُ انهُ كان زنديقاً اي كافرًا ودهريا لا يؤمن بالآخرة او انهُ يبطن الكفر ويظهر الايمان او ايضاً انهُ يقول قول الثَّنوية اي يعتقد مبدأين وهما النور والظلمة. ولم نجد في مقاطيع شعرهِ ما يدلُّ على شيء من ذلك. وينظمهُ غيرهم في جملة المتكلمين اي الفلاسفة الجدليين ردونك ما قالهُ عنهُ القدماء

روايات القدماء عن صالح بن عبد القدُّوس

﴿الاغاني﴾ ورد في جملة اخبار بشَّار بن بُرْد (٣: ٢٤) ما نصُّهُ قال :

« حدَّث سعيد بن سلام قال: كان بالبصرة ستَّة من اصحاب الكلام عمرو بن عُبَيْد وواصل بن عطاء وبشَّار الأعمى وصالح بن عبد القدُّوس وعبد الكريم بن ابي العوجاء ورجل من الأزد قال ابو احمد يعني جرير بن حازم . فكانوا يجتمعون في منزل الازديّ ويختصمون عندهُ. فامَّا عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال. واما عبد الكريم وصالح فصحَّحا الثنوية . واما بشَّار فبقي متحيِّرًا مُخلِطاً. واما الازديّ فمال الى قول السُّمَنيَّة وهو مذهب من مذاهب الهند وبقي ظاهرهُ ما كان عليهِ »

وقال عنهُ ايضاً صاحب الاغاني (١٣: ١٤—١٥) في ترجمة عليّ بن الخليل :

«عليّ رجلٌ من الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ويُكنى ابا الحسن وكان يعاشر صالح بن عبد القدُّوس لايكاد يفارقهُ فاتُّهم بالزندقة . . . (قال) كان الرشيد قد اخذ صالح بن عبد القدُّوس وعليّ بن الخليل في الزندقة . فانشدهُ عليّ بن خليل قصيدة فاطلقهُ الرشيد وقتل صالح بن عبد

القدُّوس واحتجَّ عليهِ في انهُ لا يقبل لهُ توبةً بقولهِ :

والشيخُ لا يترك اخلاقَهُ حتى يوارى في ثرى رمسهِ

وقال : انَّما زعمتَ ان لا تترك الزندقة ولا تحول عنها ابدًا

فيتَّضح من هذه الرواية انَّ صالحًا قُتل في عهد هارون الرشيد ومعظم المؤرخين يذكرون انَّ قتلهُ كان في زمن المهدي . قال اليعقوبي في تاريخهِ (٢ : ١٨٣) :

« وكان المهديّ الحَّ في طلب الزنادقة فأُتي بصالح بن عبد القدُّوس فاستتابهُ فتابَ . فلمَّا خرج من عندهِ ذكر لهُ قولهُ :

والشيخُ لا يترك اخلاقهُ حتى يوارى في ثرى رمسهِ

قال : وايك لتقول هذا ؟ فردَّهُ فضرب عنقهُ ولم يستتبهُ

ومثلهُ الاربليّ في خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك (ص ٧٢—٧٣) قال :

« ثمَّ دخلت سنة سبع وستين ومائة فيها دخل جدّ المهديّ في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم ووكَّل امرهم عمر الكلوذاني فاخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور فأقرَّ فحُبس فهرب من الحبس . واتُّهم المهدي صالح بن عبد القدُّوس البصري بالزندقة فامر بحملهِ اليهِ فأُحضر فلمَّا خاطبهُ أُعجب لفزارة ادبهِ وحسن ثنائهِ فامر بتخلية سبيلهِ . فلمَّا ولَّى ردَّهُ فقال : الستَ القائل « والشيخ لا يترك اخلاقهُ » (الابيات) . قال : بلى . قال : انتَ لا تترك اخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك . ثمَّ امر بهِ فقُتل وصُلب على الجسر . قال ابن ثابت وقيل انهُ بلَغَهُ عنهُ ابيات تعرَّض بالنبيّ صلعم . قال : ويقال انهُ كان مشهورًا بالزندقة ولهُ مع ابن الهذيل مناظرات »

وذكرهُ ايضًا ابو العلاء المعرّي في كتاب الغفران (ص ١٣٩) قال :

« الزنادقة هم الدَّهريَّة لا يقولون بنبوَّة ولا كتاب . . . (ص ١٤٢) انَّما صالح بن عبد القدُّوس فقد شُهر بالزندقة ولم يُقتَل ولله العلم حتَّى ظهرت عنهُ مقالات توجب ذلك ويُروى لابيهِ عبد القدُّوس :

كم أهلكتْ مكَّةُ من زائرٍ خرَّجها اللهُ وايَّاتها

لا رزَقَ الرحمانُ أحياءها وأسْوَتِ الرحمةُ اموَاتها

وقد كان لصالح ولد حُبس على الزندقة حبسًا طويلاً . . انَّما رجوعهُ عن الزندقة لمَّا احسَّ بالقتل فانَّما ذلك على سبيل التَّقيَّة »

وقال ابن شاكر في كتاب فوات الوفيات (١ : ١٩١) :

« صالح بن عبد القدُّوس بن عبد الله بن القدُّوس استقدمهُ المهدي من دمشق . قال المَرْزُبانيّ : كان حكيم الشعر زنديقًا متكلِّمًا يقدِّمهُ اصحابهُ في الجدال عن مذهبهم وقتلهُ المهدي على الزندقة شيخًا كبيرًا . وضربهُ المهدي بالسيف فجعلهُ نصفين وعُلِّق ببغداد . قال

احمد بن عبد الرحمن: رأيتُ ابن عبد القدُّوس في المنام ضاحكًا فقلتُ لهُ: ما فعل اللهُ بك؟ وكيف نجوتَ مما كنتُ تُرمَى بهِ؟ قال: اني وردتُ على ربٍّ ليس يخفى عليهِ خافية وانهُ استقبلني برحمتهِ وقال: قد علمتُ براءتك مما كنت تُرمى بهِ»

وقال الصفديّ في كتاب نكت الهميان (ص ١٧١):

«صالح بن عبد القدُّوس البصري. قال ابو احمد بن عديّ: كان صالح بن عبد القدُّوس ممَّن يعظ الناس في البصرة ويقصُّ عليهم ولهُ كلام حسن في الحكمة فامَّا بالحديث فليس بشيء كما قال ابن معين: ولا اعرف لهُ من الحديث الَّا الشيء اليسير (ثمَّ نقل كلام المزرباني السابق وختمهُ بقولهِ): «وكان قد أضرَّ بآخر عمرهِ». (اطلب القطعة عدد ٧ من شعرهِ)

وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١: ٤٢٠):

«قال خلف بن المثنى: كان يجتمع بالبصرة عشرةٌ في مجلس لم يُعرف مثلهم: الخليل بن احمد صاحب العَروض سُنّي. والسيّد محمد الحِميَري الشاعر رافضيّ. وصالح بن عبد القدُّوس ثَنَويّ. وسفيان بن مجاشع صُفري. وبشَّار بن بُرْد خليع ماجن. وحمَّاد عجرد زنديق. وابن رأس الجالوت الشاعر يهوديّ. وابن نظير النصرانيّ متكلّم. وعمرو ابن اخت المؤبذ مجوسيّ. وابن سنان الحرَّاني الشاعر صابئ. فيتناشد الجماعة اشعارًا واخبارًا فكان بشَّار يقول: ايسأتك هذه يا فلان احسن من سُورة كذا وكذا. وبذا المزاح ونحوهِ كفَّروا بشَّارًا»

ونقل هذه الاخبار الدميري في حياة الحيوان الكبرى (١: ٣٣) ويقول هناك انَّ «صالح هذا هو صاحب الفلسفة» (يُراجَع ايضاً كتاب الفهرست لابن النديم ص ١٦٣ و٣٣٨). فهذا مجمل ما ورد عن صالح بن عبد القدُّوس في تآليف القدماء. ولعلَّ سبب قتلهِ جنوحهُ الى آراء الفلاسفة وفي شعرهِ ما ينفي كفرهُ والله اعلم

مقاطيع من شعر صالح بن عبد القدُّوس

(على ترتيب القوافي)

(١) ليس من مات فاستراحَ بميْتٍ ... انَّما الميْتُ ميّتُ الأحياء
انَّما الميّت من تراهُ كئيباً ... كاسفاً بالهُ قليلَ الرَّجاء (١

(٢) لا تدخُلَنْ بنميمةٍ بينَ العصا ولحائها (٢

---

١) حماسة البحتري (حب) العدد ١١٢٥

٢) البيان للجاحظ (٢: ٧٠)

(٣) تَوَدُّ عدوّي ثمَّ تزعمُ انّني صديقُكَ انَّ الرأيَ عنك لَعازبُ
وليس اخي مَنْ وَدَّني وهو حاضرٌ ولكن اخي من وَدَّني وهو غائبُ (١

(٤) من الناس مَن يَصِلُ الأَبعدينَ ويَشقَى بهِ الاقربُ الاقربُ (٢

(٥) اذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
فلا تحسَبَنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ولا انَّ ما يخفى عليهِ يغيبُ (٣

قال صالح بن عبد القدّوس وقد اخذهُ ممَّا يروى عن ارسطاطاليس يوم موت الاسكندر فقال: طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بكلامهِ موعظةً قطّ ابلغ من وعظتهِ اليوم:

(٦) ويتادونهُ وقد صَمَّ عنهم ثم قالوا وللنداء نجيبُ
ما الذي عاق أن تَرُدَّ جواباً أيها القولُ الخطيبُ الاريبُ
ان تَكُنْ لا تُطيق رَجْعَ جوابٍ فَبِما قد تُرَى وانت خطيبُ
ذو عظاتٍ وما وعظتَ بشيءٍ مثلَ وعظِ السكوت اذ لا تجيبُ (٤

وقد اختصر ابو العتاهية قولهُ في هذا البيت:

وكانت في حياتك لي عظاتٌ فأنتَ اليومَ ارعظُ منك أمسِ

(٧) عزاءَكِ أيها العينُ السكوبُ ودمعكِ انّها نُوَبٌ تَنُوبُ
وكنتِ كريتي وسراجَ وَجهي وكانت لي بك الدنيا تطيبُ
فإن أكُ قد ثكلتُك في حياتي وفارقني بك الإلفُ الحبيبُ
فكلُّ قرينةٍ لا بُدَّ يوماً سيَشعَبُ إلفَها عنها شَعُوبُ
على الدنيا سلامٌ فما لشيخٍ ضريرِ العَينِ في الدنيا نصيبُ
يموتُ المرءُ وهو يُعَدُّ حيّاً ويُخلِفُ ظنَّهُ الأَملُ الكَذوبُ
يُمَنّيني الطبيبُ شفاءَ عيني وما غيرُ الاله لها طبيبُ
اذا ما مات بعضُك فابكِ بعضاً فانَّ البعض من بعضٍ قريبُ (٥

١) حب (ع ٩٦٩) ٢) حب (ع ٥٦٤) ٣) حب (ع ١٣٢٦)
٤) خزانة الادب ٤: ٣٨٥ ٥) نكت الهميان للصفدي (١٧١)

(٨) انَّ الغصونَ اذا قوَّمتها اعتدلَتْ ولا يلين اذا قوَّمتَهُ الخطبُ (١

(٩) قد يجمعُ المرء مالًا ثمَّ يُسلَبُهُ عمًا قليلٍ فيلقى الذُّلَّ والحَرَبا
وجامعُ العلمِ مغبوطٌ بهِ أبدًا ولا يُحاذِرُ منهُ الفَوْت والطَّلبا (٢

(١٠) انَّ اللبيبَ الذي يرضى بعيشتهِ لا مَنْ يَظَلُّ على ما فات مُكتئبا
لا تحترنَّ من الاقوام محتقرًا كلُّ امرئٍ سوف يُجزَى بالذي اكتسبا
لا تُفشِ سرًّا الى غير اللبيب ولا الخَرِقِ المُشيعِ يومًا اذا غَضِبا
قد يَحقِرُ المرءُ ما يهوى ويركبُهُ حتى يكونَ الى توريطهِ سببا
شرُّ الاخلَّاء من كانت مودَّتُهُ مع الزمان اذا ما خاف او رَغِبا
اذا وترتَ امرءًا فاحذر عداوتَهُ من يَزرَعِ الشرَّ لا يَحصُد بهِ عِنَبا
انَّ العدوَّ وإن ابدى مسالمةً اذا رأى منكَ يومًا فرصةً وثبا (٣

(١١) ويمتعني التكلُّمُ في كثيرٍ اقولُ لما يكون من الجوابِ
ومَنْ خَشِيَ الجوابَ أقلَّ نُطقًا وان كان المقدَّمَ في الصوابِ (٤

(١٢) واشكُرْ فانَّ الشكرَ من حقٍّ على الانسانِ واجبْ
لا خيرَ في من لا يشكر م النعمى ويصبرْ في العواقبْ (٥

(١٣) وكلُّ اخي ثرًى يُمسي فقيرًا والجميعُ الى شتاتِ (٦

(١٤) وكلُّ جميعٍ في نعيمٍ وغبطةٍ رهينَتُهُ من عاجلٍ وشتاتِ (٧

(١٥) ولا بدَّ من إتيانِ ما حُمَّ في غدٍ وانَّ قريبًا كلُّ ما هو آتِ (٨

(١٦) ربَّ مزاحٍ قد دعا حتفًا الى نفس المازحِ (٩

---

١) حب (ع ١٣٨١) ٢) محاضرات الراغب للاصفهاني (١: ١٧)
٣) الحماسة البصريّة (خط): ٢: ٢٩ – نكت الهميان للصفدي (١٧١)
٤) حب (ع ١٣٢٦) ٥) حب (ع ٥٠٩) ٦) حب (ع ١٠٩٠)
٧) حب (ع ١٠٩١) ٨) حب (ع ١٢٣٥) ٩) حب (ع ١٣٧٣)

(١٧) لا تيأسَنَّ عن انفراجِ شديدةٍ قد تنجلي الغمراتُ وهي شدائدُ
كم كُرْبَةٍ أقسمتُ ألا تنقضي زالت وفرَّجها الجليلُ الواحدُ (١

(١٨) وصافِ اذا صافيتَ بالوُدِّ خالصاً تَجِدْ مثلَ ما خالصتَ عنهُ ذوي الودِّ (٢

(١٩) وأدَّبني الزمانُ فليتَ أني هُجِرتُ فلا أُزارُ ولا أَزورُ
ولستُ بقائلٍ ما دمتُ حيًّا أقام الجندُ لم قَدِمَ الاميرُ (٣

(٢٠) اذا كُنتُ ذا لُبٍّ فأيّك والتي اذا ذُكِرَتْ اصبحتَ منها تَعَذَّرُ (٤

(٢١) شرُّ المواهبِ ما تجودُ بهِ من غيرِ مَحْمَدةٍ ولا أَجرِ (٥

(٢٢) أنتَ بوَحْدتي ولزمتُ بيتي فتمَّ العزُّ لي وفَنا سروري (٦

(٢٣) تجنَّبْ صديقَ السوءِ واصرم حبالَهُ وان لم تَجِدْ عنهُ محيصاً فدارِهِ
ولله في عَرْضِ السماواتِ جنَّةٌ ولكنَّها محفوفةٌ بالمكارِهِ (٧

(٢٤) نالَ على إخوانهِ كلَّهم فصارَ لا يُطرِقُ من كِبْرِهِ
اعادَهُ اللهُ الى حالهِ فانهُ يَحْسُنُ في فقرِهِ (٨

(٢٥) واذا أَعلنتَ امرًا حسناً فليكُنْ أحسنَ منهُ ما تُسِرّ
فسَريرةُ الخيرِ موسومٌ بهِ وسَريرةُ الشرِّ موسومٌ بشرّ (٩

(٢٦) ولا تَسُمِ الناسَ منكَ الذي اذا هو نالَكَ لم تَصْبِرُ
ومن يَرْضَ للناسِ من نفسهِ بما هو راضٍ لها لا يَجُرْ (١٠

---

١) حب (ع ١١٩٠) ٢) حب (ع ٢٦٤)
٣) نكت العميان للصفدي (١٧١)
٤) حب (ع ١٣٦١) ٥) العقد الفريد (عف) لابن عبد ربّه (١ : ٢٧٦)
٦) نكت العميان (ص١٧١) ٧) عف (١ : ٢٢٧)
٨) محاضرات الراغب (١ : ١٦٥) ٩) حب (ع ١٣٢٢)
١٠) حب (ع ٢٦٥)

(٢٧) لَأَشْكُرَنَّ هُماماً فَضْلَ نعمتِهِ لا يَشكرُ اللهَ من لم يَشكرِ الناسا (١

(٢٨) وانَّ مَنْ ادَّبتَهُ في الصِبا كالعودِ يُسقَى الماءَ في غَرْسِهِ
حتى تراهُ مُورقاً ناضراً بعد الذي ابصرتَ من يَبْسِهِ
والشيخُ لا يتركُ اخلاقَهُ حتى يوارى في ثَرى رَمْسِهِ
اذا أرْعوى عادَ لهُ جهلُهُ كذي الصبا عاد الى نَكسِهِ
ما تبلغُ الاعداءُ من جاهلٍ ما يبلغُ الجاهلُ من نفسِهِ
والحقُّ داءٌ ما لهُ حيلةٌ تُرْجى كبُعْد النجم من لَمْسِهِ
فألقَ اخا الضِغْنِ بايناسِهِ لتُدْرِكَ الفُرْصةَ في أُنسِهِ
كالليثِ لا يَعْدو على قِرنِهِ الّا على الإمْكانِ من فَرْسِهِ (٢

(٢٩) اذا كُنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فأرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ
وانْ بابُ امرٍ عليك التوَى فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ
وان ناصحٌ منك يوماً دنا فلا تَنْأَ عنهُ ولا تُقْصِهِ
وذا الحقّ لا تنتقصْ حقَّهُ فانَّ القطيعةَ في نُقْصِهِ
ولا تَحْرِصَنَّ فَرَبَّ امرئٍ حريصٍ مُضيعٍ على حرصِهِ
ولا تَذكرِ الدهرَ في مجلسٍ حديثاً اذا انت لم تُحْصِهِ
ونُصَّ الحديثَ الى اهلِهِ فانَّ الامانةَ في نَصِّهِ
فكم من فتًى عازبٍ لُبُّهُ وقد تُعجِبُ العينُ من شخصِهِ
وآخرَ تَحْسَبُهُ أنوكاً ويأتيك بالأمر من فَصِّهِ (٣

(٣٠) اذا كُنتَ لا تُرْجى لدفعِ ملمّةٍ ولم يكُ للمعروف عندكَ موضعُ
ولا انت ذو جاهٍ يُعاشُ بجاهِهِ ولا انت يوم البَعْث للناس تشفَعُ
فعيشُكَ في الدنيا وموتك واحدٌ وعُودُ خِلالٍ من حياتكَ انقَعُ (٤

١) حب (ع ٣٦٥) ٢) عف (١ : ٢٢٦) — حب (ع ٥٥) — غاية الارب للنويري (٣ : ٨٣) — الحماسة البصريّة (٢ : ١٧)؛
٣) الحماسة البصريّة: خط (٢ : ٢٩) — حب (ع ٦٦٤)
٤) حب (ع ١١٣٤) — الحماسة البصريّة (٢ : ١٨٩)

(٣١) اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ (١

(٣٢) مَنْ يَسَلْ يُعطَ ومن يستفتح البابَ يفتحهُ بطيء او سريعْ
وسَلِ الناس بما تجهلهُ واستمعْ انَّ اخا اللُّبِّ سميعْ (٢

(٣٣) لا تُذِعْ سِرًّا الى طالبهِ منك انَّ الطالب السرَّ مُذيعْ
وأَمِتْ سرَّك انَّ السرَّ إنْ جاوزَ اثنَيْنِ سيُنمَى ويَشيعْ (٣

(٣٤) المرء يجمعهُ والزمانُ يُفرقهُ ويَظَلُّ يرقعهُ والخطوبُ تخرقهُ
ولأَن يُعادي عاقلًا خيرٌ لهُ من ان يكونَ لهُ صديقٌ احمقُ
فاربأْ بنفسك ان تُصادِقَ احمقًا انَّ الصديق على الصديق مصدَّقُ
وزِنِ الكلام اذا نطقتَ فانَّما يُبدي عقولَ ذوي العقولِ المنطقُ
ومن الرجال اذا استوَت اخلاقُهم مَن يُستَشارُ اذا استُشيرَ فيطرقُ
حتى يَجِلَّ بكلِّ وادٍ قلبهُ فيرى ويعرف ما يقولُ فينطِقُ
لا أُلفِيَنَّكَ ثاوياً في غربةٍ انَّ الغريبَ بكل سهمٍ يُرشَقُ
ما الناسُ الَّا عاملانِ فعامِلٌ قد مات من عطشٍ وآخرُ يغرقُ
والناسُ في طلب المعاش وانَّما بالجدِّ يُرزَقُ منهمُ مَن يُرزَقُ
لو يَرزُقون الناسَ حسبَ عقولهم أَلفَيتَ اكثرَ من ترى يتصدَّقُ
لكنَّهُ فضلُ المليكِ عليهمُ هذا عليهِ مُوسِع ومضيِّقُ
واذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا ورأيتَ دمعَ نوائحٍ يَسترقُ
سكت الذي تبعَ العروسةَ مُبهَتًا ورأيت من تبعَ الجنازة ينطقُ
واذا امرؤٌ لسعَتهُ افعى مرَّةً تركَتهُ حين يُجَرُّ حبلٌ يَفرَقُ
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا (٤

(٣٥) انرَضيتَ الصديقَ فاصدِقْهُ في الو دِّ فخير الوداد ما صدقا (٥

---

١) كتاب الحيوان للدميري (١ : ٢٢٢) ٢) حب (ع ٦٨٣) ٣) حب (ع ٢٦٣)
٤) كتاب الحيوان للدميري (١ : ٢٢٠)
٥) حب (ع ٣١٩)

(٣٦) مـا اقربَ النـازلَ بي في غدٍ وان تراختْ دارُهُ عن اليمـا (١

(٣٧) انّي لأعرضُ عن اشياءَ أسمعُهـا حتى يَظُنَّ رجالٌ أنّي بي صَمَمَا
أخشى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ لـهُ فَـلٍ يظُنَّ رجالٌ انهُ صَدَقا (٢

(٣٨) لا تنطقَنَّ بمَقالةٍ في مجلسٍ تَخشى عواقبَها وكن ذا مَصْدَقِ
واحفَظْ لسانك أن تقول فتُبتلى انَّ البـلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطقِ (٣

(٣٩) لا تَجُدْ بالعَطاء في غيرِ حقٍّ ليس في مَنْعِ غيرِ ذي الحقِّ بُخْلُ
انّما الجودُ ان تجودَ على مَنْ هو للجود منك والبَذْلِ أهلُ (٤

(٤٠) إنْ يَكُنْ ما بهِ أُصِبتَ جليلا فذَهـابُ العزاءِ منـهُ أَجَلُّ
كلُّ آتٍ لا شكَّ آتٍ وغـيرُ م الجَهْلِ مُعْنٍ والغمُّ والحزنُ فَضْلُ (٥

(٤١) لا يعجبنَّك مَنْ يصونُ ثيـابَهُ حذَرَ الغُبـارِ وعِرْضُهُ مبذولُ
ولرُبَّمـا افتقرَ الفتى فرأيتَـهُ دَنِسَ الثيابِ وعِرْضُهُ مَغْسولُ (٦

(٤٢) لا أخونُ الخليـلَ في السرِّ حتى يُنقَلَ البحرُ في الغرابيلِ نَقْـلا
او تَمورَ الجبالُ مَوْرَ السحـابِ مُثقَلاتٍ وعَتْ من الماءِ حَمْلا (٧

(٤٣) ولَلَصْمتُ خيرٌ من كلامٍ بآثمٍ فكُنْ صامتاً تسلَمْ وان قُلتَ فاعدِلِ (٨

(٤٤) المرءُ يحظى ثم يسعَدُ حظُّـهُ حتى يُزَيَّنَ بالـذي لم يَفعَلِ (٩

(٤٥) لا تَرْضَ للإخوانِ غيرَ الـذي تَرضى بهِ إن نابَ امرٌ جليلُ (١٠

(٤٦) عاصِ الهوى انَّ الهوى مَرْكَبٌ يصعبُ بعدَ اللينِ منهُ الـذُّلولُ

١) حب (ع ١٢٣٤) ٢) حب (ع ١٢٧٢) ٣) حب (ع ١٢٦٠)
٤) غاية الارب للنويري (٣ : ٨٢) ٥) منه (٨٣) — الكامل للمبرد (٢٢٧)
٦) فوات الوفيات لابن شاكر (١ : ١٩٢) — نُكت الهميان للصفدي (١٧٢) — مروج الذهب للمسعودي (٧ : ٣٩٢) ٧) حب (ع ٣٤٢)
٨) حب (ع ١٢٤٠) ٩) حب (ع ٨٢٨) ١٠) حب (ع ٢٦٦)

ان يَجأبِ اليومَ الهوى لذةً فقي غدٍ منهُ البكا والعويلْ (١

(٤٧) وما غنِمَ العادي على الناس ظالماً ولا خابَ مظلومٌ عفا حين يُظلَمُ
وما الرزقُ الّا قسمةٌ بين اهلهِ فلا يُعدمُ الارزاقَ مُثرٍ ومُعدِمُ
ولن يستطيعَ الدهرَ تغييرَ خُلقهِ لئيمٌ ولن يَسطيعهُ متكرّمُ
كما انَّ ماءَ المُزنِ ما ذِيقَ سائغٌ زلالٌ وماءُ البحر يلفظُهُ الفمُ (٢

(٤٨) رأيتُ صغيرَ الأمرِ تنمي شؤونهُ فيكبُرُ حتى لا يُحَدَّ ويعظُمُ
وانَّ عناءً ان تُفهِّمَ جاهلاً فيَحسَبُ جهلاً أنّهُ منكَ افهَمُ
متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامَهُ اذا كنتَ تبنيهِ وغيرُكَ يَهدِمُ
متى ينتهي عن سَيِّئٍ مَنْ اتى بهِ اذا لم يكن منهُ عليهِ تَندُّمُ (٣

(٤٩) ألا انَّ بعضَ الظَّنِّ اثمٌ فلا تَكُنْ ظَنوناً لما فيهِ عليهِ إثامُ
وانَّ ظنونَ المرءِ مثلُ سحائبٍ لوامعَ منها ماطِرٌ وجَهامُ (٤

(٥٠) وانَّ لسانَ المرءِ مفتاحُ قلبهِ اذا هو أبدى ما يُجِنُّ من الفمِ (٥

(٥١) وانَّ امرءاً لم يَخشَ قبلَ كلامهِ الجوابَ فيَنهى نفسَهُ غيرُ حازمِ (٦

(٥٢) يَشقَى رجالٌ ويَشقى الآخرون بهم ويُسعِدُ اللهُ اقواماً بأقوامِ
وليس رزقُ الفتى من لُطفِ حيلتهِ لكن جدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصَّيدِ يُحرِمُهُ الرامي المُجيدُ وقد يُرمى فيُرزَقُهُ من ليس بالرامي (٧

(٥٣) أَطِلِ الصَّمتَ فانَّ الصمتَ حِلمٌ واذا قلتَ فبالحَقِّ فقُمْ (٨

(٥٤) فسائِلْ إن مُنِيتَ بأمرِ شكٍّ فانَّ الشكَّ يقتلُهُ اليقينُ (٩

(٥٥) شرُّ الأخِلّاءِ مَنْ تَسعَى لِتُرضيَهُ ولا يزالُ عليكَ الدهرَ غضبانا (١٠

---

١) النويري (٢ : ١٥١) ٢) حب (ع ٥٦٥ و ٨٢٧ و ١١٦٩ — مجموعة المعاني (٣ و ١٦١)
٣) حب (ع ٧٠٧) — الحماسة البصرية (٢ : ١٧) — النويري (٣ : ٨٢) — امالي القالي (٢ : ٩٦) ٤) حب (ع ١٣٨٣) ٥) حب (ع ١٣٥٣) ٦) حب (ع ١٣٧٣)
٧) النويري (٣ : ٨٢) ٨) حب (ع ١٣٣٩) ٩) حب (ع ٦٨٤) ١٠) حب (ع ٣٦٧)

(٥٦) اذا ما أهنتَ النفسَ لم تلقَ مكرماً ... لها بعد أن عرّضتها لهوان
اذا ما أتيتَ الناسَ بالجهل والخنا ... فأيقنْ بذلٍ من يدٍ ولسانِ
لعمرُك ما أدّى امرؤٌ حقَّ صاحبٍ ... اذا كان لا يرعاهُ في الحدثانِ
ولا أدرك الحاجاتِ مثلُ مثابرٍ ... ولا عاقَ عنهُ النُّجحَ مثلُ توانٍ(١

(٥٧) قُلْ للذي لستُ أدري من تلوّنهِ ... أناصحٌ امْ على غشٍّ يداجيني
إني لأكثرُ مما سُمتني عجباً ... يدٌ تشجُّ وأخرى منك تأسوني
تغتابني عند اقوامٍ وتمدحني ... في آخرين وكلٌّ منك يأتيني
هذانِ امرانِ شتّى بونُ بينهما ... فاكفُفْ لسانَكَ عن ذمّي وتزييني
ياصاحِ لو كرِهتْ كفّي مصاحبتي ... لقلتُ اذ كرِهتْ كفّي لها يبني
لو كنتُ اعرفُ منك الودّ هانَ لهُ ... عليَّ بعضُ الذي اصبحتَ توليني
لا ابتغي وَصلَ مَنْ لا يبتغي صِلَتي ... ولا أبالي حبيباً لا يُبالِيني
ربَّ امرئٍ اجنبيٍ عن مُلاطفتي ... محضِ الأخوّةِ في البلوى يؤاسيني
ومُلحفٍ بسؤالٍ عن مكاثرةٍ ... مُغضٍ على وَغرٍ في الصدرِ مكنونِ
ليس الصديقُ بمن تُخشى غوائلُهُ ... ولا العدوُّ على حالٍ بمأمونِ
أرضى عن المرءِ ما أصفى مودّتَهُ ... وليس شيءٌ من البَغضاءِ يُرضيني(٢

(٥٨) لا تُكثِرَنْ حَشوَ الكلا ... مِ اذا اهتديتَ الى عيونهْ
والصمتُ احسنُ بالفتى ... من مَنطقٍ في غير حينهْ (٣

(٥٩) الى الله فيما نابنا نَرفعُ الشكوى ... على يدهِ كشفُ المضرّةِ والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحنُ من اهلها ... ولا نحنُ في الاموات منها ولا الأحيا
اذا جاءنا السجّانُ يوماً لحاجةٍ ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا(٤

واعلم انّ القصيدة الحكميّة المشهورة بالزينبيّة تُنسب على الأصحّ لصالح بن عبدالقدّوس. فمن ارادها يجدها في كتابنا مجاني الادب (ج ٤ ص ٨٩-٩١) فلا حاجة الى اثباتها هنا مع شيوعها

---

١) حب (ع ٦٣٩ و ٨٢٤) – الحماسة البصريّة (٢ : ١٧٠) ٢) حب (ع ٢٦٣) – فوات الوفيات (١ : ١٩١) – نُكَت الهميان (١٧١) ٣) حب (ع ١٢٣٨)
٤) مروج الذهب للمسعودي (٦ : ٤٠٥) كتاب الغفران لابي العلاء (١٤٣)

مطبوعات شرقية جديدة

Ruth : COMMENTAIRE PHILOLOGIQUE ET EXÉGÉTIQUE, par le P. Paul Joüon S.J., Rome Institut Biblique Pontifical, 1924, pp. XI-99

تفسير لغوي وكتابي لسفر راعوت

كنّا نودّ لو يطّلع معلّمو اللاهوت والاسفار المقدّسة في بلادنا على هذا الكتاب ليقفوا على تعمّق علماء اوربّة في درسهم للاسفار المقدّسة فانّهم لا يدعون صغيرة او كبيرة الّا يخوضون في شرحها . وهذا سفر راعوت من اقصر اسفار العهد العتيق كلّفهُ حضرة الاب جوون نزيل كلّيّتنا سابقاً واحد اساتذة المكتب البابوي في رومية فقدّم عليهِ المقدّمات النفيسة لتعريف اصلهِ وغايتهِ وزمانهِ ومؤلّفهِ ولغتهِ وترجماتهِ ثمّ شرحهُ شرحاً مدقّقاً ودرس كلّ مشاكلهِ التاريخيّة واللغويّة مثبتاً كلّ اقوالهِ بالادلّة القاطعة . فلا يسعنا الّا ان نشكرهُ الشكر الجميل على هذه التحفة النادرة واليتيمة الباخرة . نفعنا الله بعلمهِ زمناً طويلاً ل.ش

Antoine Yammine: Petite Géographie de la Syrie, du Grand Liban et de la Palestine. *Beyrouth, Librairie Universelle*, 1924 *p.* 32

جغرافيّة صغيرة لسوريّة ولبنان الكبير وفلسطين

ليس هذا اوّل كتاب فرنسوي من جنسهِ نقد كنّا نشرنا للمدارس الابتدائيّة في مطبعتنا مختصراً في جغرافيّة سوريّة مع خرائط طُبع مرّتين . وهذه الجغرافيّة الجديدة لحضرة الخوري انطون يمين اوسع افادةً ضمّنها المؤلّف معلومات هي اجدر بطبقةٍ ارقى من التلاميذ غير الابتدائيّين . وقد اضاف اليها فصلاً في جغرافيّة فلسطين . ومّما لحظناهُ من الاغلاط ذكرهُ (ص ١٣) دولة العلويين في جملة المحالفة السوريّة وهي ليست منها . وقد نسي (ص ٢٠) كركلّا في جملة القياصرة السوريين . وجعل (ص ٢١) جلوس القديس بطرس على كرسي انطاكية سنة ٤٢ م والصواب انّ تلك السنة هي سنة جلوسهِ على كرسي رومية التي رأسها ٢٥ سنة فاستشهد سنة ٦٨ م . لا نعلم من هو الملك الاسد او الاسعد (Malek - el - Asad)

الذي قال عنهُ انهُ بنى مسجداً في بعلبك سنة ١٢٧١ . وقد لحظنا (ص ١١) انهُ كاد ينسخ حرفيًّا ما كتبناهُ في جغرافيَّتنا (ص ١٥) . كذلك لم يجرِ على قاعدة واحدة في نقل الاعلام العربيَّة الى الافرنسيَّة فيكتب الجيم مثلًا تارةً J وتارةً G وحيناً (dj) وقس عليهِ احرفاً اخرى

Abbé E. Wetterlé : La Syrie avec le Général Gourod. 1 *vol. in*-16, *illustré, Paris, E. Flammarion, Paris*, 7 *fr*, 50

سوريَّة بعيَّة الجنرال غورو

كان الكاهن ڤتّرله احد المبعوثين الالزاسيّين من جملة اللجنة الاقتصاديَّة التي دعاها الجنرال غورو لمرافقته الى سوريَّة . فعند عودتهِ الى فرنسة اسرع فألَّف هذا الكتاب واودعهُ كثيرًا مما رأى وسمع وفي كثير مما رواهُ ما يدلُّ على تهافُت زائد دون تروٍّ وتمحيص ومن ثمَّ لا توافق حضرتهُ على امور شتَّى دوَّنها في كتابهِ ولم يتثبَّتها ويعرضها على محكِّ الانتقاد . وما عذرهُ في ذلك الَّا قصر الوقت الذي قضاهُ في سوريَّة وهو يجهل لغة البلاد واخلاق اهلها ج . ل

L'INDICATEUR SYRIEN: ANNUAIRE DE LA SYRIE, DU LIBAN, DE LA PALESTINE, ET DE L'EGYPTE, 1924, par E. et G. Gédéon, *in*-4°, *pp.* 407 + ٣٤٣

الدليل السوري للسنة ١٩٢٤

هذه السنة الثالثة لصدور هذا الدليل الحافل بالافادات الاداريَّة والتجاريَّة والخلاصات التاريخيَّة والجغرافيَّة والاحصاءات الرسميَّة . وقد اثنينا سابقاً على همَّة الاخوين الاديبين الياس وجرجي جدعون لسعيهما بنشر هذا الدليل الذي لا يستغني عنهُ كلّ من يريد الوقوف على احوال وطنهِ واحوال القطرين المجاورين فلسطين ومصر . وهو في اللغتين الفرنسويَّة والعربيَّة ومن مميِّزات دليل هذه السنة خارطة جميلة ملوَّنة لسوريَّة ولبنان الكبير . فنكرِّر شكرنا للاخوين القائمين بهذا العمل الجليل . وقد سُرِرنا بما اصابتهُ مطبعتهما من الترقّي والتحسينات ولاسيما بما استقدماهُ من الأدوات الطبعيَّة الجديدة منها مطبعة للطوابع الاداريَّة والاوراق النقديَّة واشغال المصارف الخ ل ش

Alchemistische Lehrschriften u. Maerchen bei den Arabern von Richard Reitzenstein, *Verlag von Alfred Topelmann in Giessen*, 1923

الكيميا في تآليف العرب واقاصيصهم

اخذ العرب منذ اوائل دولتهم في عهد الامويين يبحثون عن الاكسير وتحويل المعادن الى ذهب . وقد كتب في ذلك الخالد بن يزيد بن معاوية وتبعهُ كثيرون لا تزال مخطوطاتهم بين ايدينا وصفنا ما يوجد منها في مكتبتنا الشرقيّة . والكتاب الذي نحن بصددهِ يبحث في ما ورد من ذلك في مخطوطات المكاتب وفي روايات العرب كالف ليلة وليلة وغيرها ويبيّن ما استفاد العلم من تآليفهم تمهيداً لعلم الكيميا الجديد الذي يبعد عن الكيميا القديمة بُعد الثريا عن الثرى ل . ش

Koester (August) : Das ANTIKE SEEWESEN. 1 vol., 8° carré, 104 illustrations ou planches, Berlin, Schoetz u. Parrhysius, 1923, Prix, 15 Goldmarks

مناظر البحريّة القديمة

هذا كتاب ممتع لاحد علماء الالمان جمع فيهِ عدداً لا يحصى من المعلومات المتفرّقة عن فنّ الملاحة القديمة وقسم كتابهُ ٢١ فصلاً ذكر فيها اخبار الملاحة عند اقدم الشعوب كالمصريين والفينيقيين وما ورد عنها في التوراة وفي قصائد هوميروس والكتبة الاوّلين . ثمّ انتقل الى وصف السفن القديمة وانواعها وغاياتها واجهزتها من قلوع وسوار ومجاذيف . ثمّ بحث عن ارباحها وملّاحيها ووصف الحروب البحريّة وقرصان البحر وكلّ ذلك بتدقيق عجيب يشهد للمؤلف بعلم واسع وعقل ثاقب . ونشكرهُ على الفهارس الحسنة التي عمّها على كتابهِ ج . ل

Mermeix : FRAGMENTS D'HISTOIRE : VI Le Combat des Trois, *Prix 7 f*= VII Au sein des Commissions, *Prix 10 f*°

شذرات تاريخيّة

المسيو مرمه احد مشاهير الكتبة في فرنسة حاول تصنيف كتاب في عشرة مجلّدات يحتوي اخبار الحرب الكونيّة انجز منهُ سابقاً خمسة مجلّدات وها قد أرسل

الينا القسمان الجديدان منهُ اعني السادس والسابع يصف في الاوّل مؤتمر السلام وما جرى في المباحثات بين ممثلي الدول الثلث الكبرى لويد جورج وكليمنصو وويلسون . وهناك افادات عن امور كثيرة رسميَّة مجهولة وخصوصاً عن نفي اللغة الفرنسويَّة كلغة دوليَّة . اما الثاني فمداره على اللجن الفرنسويَّة التي عُهد اليها تنظيم احوال فرنسة بعد الحرب وصيانتها من اعدائها الوطنيين وغيرهم لتتَّخذ الدولة احتياطها من الخوَنة المذيعين لاسرارها كما فعل شرل صمبرت . ويثبت المؤلف اقوالهُ بمعلومات استقاها من مصادر موثوق بها

Brutsch (Louis), Charles Favez et A. Oltramare. GRAMMAIRE. LATINE. 1 *vol.*, 8°, *Payot, Lausanne, Prix* 7f, 50

اصول اللغة اللاتينيَّة

لا تخلو مدارس اوربَّة من كتب في اصول اللغة اللاتينيَّة مكتوبة في كلّ اللغات . وهذا التأليف وُضع خصوصاً للمدارس في سويسرة الّا انَّ بعض ما دوَّنهُ فيه مؤلفوهُ من الابحاث الجديدة كفصل لطيف في تاريخ بعض مفردات اللغة اللاتينيَّة وكتعليقات حسنة على حروفها وتراكيبها وعلى اوزان الرومانيين واشكالهم ونقودهم وغير ذلك من الافادات تجعل هذا الكتاب مفيداً لسائر المدارس المهتمَّة بتدريس اللاتينيَّة ذلك فضلاً عمَّا يزينهُ في آخره من الفهارس المدقَّقة ج . ل

Ouvrages parus chez PIERRE TEQUI libraire - éditeur, Paris VI^e^, rue Bonaparte 82,dépôt à Beyrouth à la Librairie CHÉHAB. I Joseph Blanc (M^gr^) évêque de Dibon : LES VISIONS DE S^t^ JEAN. 1 *vol. in*-12, *Prix* 10 *f*^s^= II Comtesse de Lagrèze-Champol : L'INFIRMERIE DE S^t^ LAZARE. 1 *vol. in*-12 *Prix* 3 *f*^s^ = III L. Bournet (Abbé) : LA QUERELLE JANSÉNISTE, 1 *vol. in*-12, *Prix* 8 *f*^s^ =IV Du Mesnil (Claude): LE LIVRE DE L'AMOUR, in-12, Prix 6 f^s^ =Millot (Ch.) : TOUTE GRACE PAR MARIE 1,vol., in-12, 6 f^s^

رؤيا يوحنَّا الحبيب – مستشفى القديس لاعازر – محاكمات الجنسينين – سفر المحبة – مريم ام النعمة

ارسل الى ادارتنا الطبَّاع پيار تاكي الكتب المذكورة انفاً نوصي بها قرَّاءنا لفوائدها ولقربها منهم في مكتبة الامير شهاب . فالكتاب (الاوّل) صنَّفهُ الاسقف

جوزف بلان فشرح فيه على طريقة مستحدثة سفر رؤيا مار يوحنّا الحبيب نظمهُ بالشعر الفرنسويّ ثمّ قسمهُ فصولًا تسعةً بيّن لكل منها غرضهُ ورموزهُ واقوال الآباء فيهِ فاستنتج منها ان الكتاب يتضمّن في طيهِ خلاصة اخبار الكنيسة وتطوّراتها ومحنها الى انتصارها الاخير على كلّ قوّات الجحيم — الكتاب (الثاني) للكونتسة لاغراز شامبول وصفت فيهِ مستشفى المجوسين في سجن القديس لاعازر عقاباً على مآثمهم فأنشأت لمرضاهم مستشفًى خاصًّا قامت هي وبعض النساء التقيّات بخدمتهم فتمكّنت بلطفها ومداراتها من كسب ثقتهم الى ان ردّتهم الى التوبة والصلاح = الكتاب (الثالث) خصّهُ الكاهن بورنِه بوصف ما جرى في فرنسة من المنازعات والمماحكات بسبب البدعة الجنسينيّة التي نفخت روح التمرُّد والعصيان على الكنيسة مدّة نحو مئتي سنة = الكتاب (الرابع) سِفر المحبّة وضعهُ الكاتب كلود دومنيل ليدفع قلوب المسيحيين الى محبّتهِ تعالى وقد اتّخذ لبلوغ هذه الغاية كتاب الاقتداء بالمسيح الذي من شأنهِ ان يبعث هذه العاطفة في من يدرسهُ ويتعمّق في معانيهِ = الكتاب (الخامس) لمقانوني شرل ميليو مدارهُ على بحث لاهوتي في مريم العذراء امّ النعم وقسمهُ على ثلاثين باباً على عدد ايّام الشهر المريمي ل.ش

سوريًا ولبنان

تأليف اديب فرحات

طُبع في مطبعة العرفان في صيداء سنة ١٣٤٢-١٩٢٤ (ص ٢٠٠)

اخذ ادباؤنا يكدُّون اذهانهم في تأليف تاريخ الوطن العزيز ووصف اخائهِ. ومن افضل ما صدر مؤخّرًا من ذلك كتاب سوريًا ولبنان ضمّنهُ صاحبهُ دروساً جغرافيّة وتاريخيّة لحكومة لبنان الكبير ودمشق وحلب وبلاد العلويين وجبل الدروز وفلسطين والشرق العربي مع ٨٧ رسماً جغرافيًا وتاريخيًا و ٧ خرائط » وقد كرّر الآن طبعهُ ما يدلُّ على رواجهِ واستحسان العموم لخاميهِ واعتدال لهجتهِ. ومما لحظنا فيهِ انّ صاحبهُ اخذ عدّة تصاوير ومعلومات من كتاب لبنان الذي صنّفناهُ زمن الحرب. ولا يخلو الكتاب مع كثرة موادّهِ من بعض الاغلاط التي يسهل اصلاحها في طبعة ثالثة فانّ

اشتقاق سوريّة مثلاً من صور (ص ٧٨) لا سند لهُ . والاضطرابات التي حصلت في الدولة الرومانيّة في القرن الثاني لا تُعدّ شقاقاً كما زعم (ص ٩٨) ولم يكن بطرس السائح ايطالياً بل افرنسياً (ص ١٠٧) وغير ذلك مما يطول تعدادهُ

كتاب المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة

جمعها ونظّمها على ترتيب اسماء مؤلّفيها وختمها بفهرسين واسعين

الاب لويس شيخو اليسوعي (المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٤ ص ٢٨٦)

هو مجموع ما يُعرَف من المخطوطات النصرانيّة في مكاتب الشرق والغرب التي امكننا الدخول اليها منذ نحو خمسين سنة . فهو يتناول اسماء نيّف و ٩٠٠ كاتب ورتبنا جدول اعلامهم على ترتيب حروف المعجم وعدّدنا ما لكلّ منهم من المصنّفات المخطوطة مع تعيين امكنتها المحفوظة فيها . وفي آخره فهرسان الاوّل لكل الاعلام الواردة اسماؤهم في الكتاب . والثاني لكل فريق من الكتبة حسب رتبهم وطوائفهم ورهبانيّاتهم . ونشكر سلفاً لكل من يوقفنا على معلومات جديدة واسماء مخطوطات لم نُحِطْ بها علماً

مختصر تاريخ سورية ولبنان

لاحد الآباء اليسوعيين

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٤ (ص ١٥٥)

سبق لنا (ص ١٥٤) ذكر هذا المختصر باللغة الفرنسويّة وبيّنّا خواصّهُ الفريدة لتعليم الاحداث . وها هوذا قد عُرّب تعريباً متقناً لافادة المدارس العربيّة . فلا نشكّ انهُ سينال لدى ارباب المدارس الرضى والاستحسان التامّ صورةً ومعنًى ل . ش

الوضيعة في الحكمة الخلقيّة: الحياة الاجتماعيّة — الفردوسيّة والفيصليّة

للدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس التأسيسي

طُبع في دار الطباعة الحديثة ببغداد ١٩٢٤-١٣٤٢ (ص ٣٦٤ و ٤٨)

يجمع صاحب هذا الكتاب في شخصهِ ثلاث صفات قلّما تُرى مجموعةً في رجل

واحد فهو طبيب نطاسيّ وحكميّ اجتماعي وسياسي بارع تلوح فيه هذه الصفات في كلّ صفحة من كتابه الحياة الاجتماعيّة الذي اودعهُ لُباب علم الصحّة وجواهر الحكم والآداب الاجتماعيّة مع الماهِ باصول السياسة العموميّة ولولا ضيق المكان لنقلنا فصولاً بديعة من كتابه الذي نوصي به ارباب دول سوريّة ولبنان — كما اننا نثني على قصيدتيه اليسيّة الفردوسيّة والداليّة الفيضليّة ضمّنهما المعاني الرمزيّة والآداب الشريفة وشرحهما شرحاً وافياً

مشاكل الحياة بين الشابّ والفتاة

بقلم نقولا يوسف حلبيّ

طُبع في بيروت بالمطبعة العلّابيّة سنة ١٩٢٦ (ص ٢١٥)

يمسّ مؤلف هذا الكتاب عدّة مسائل في الزواج وسوابقه ولواحقه كان الاولى به ان يدعها لمن هو اقدم منهُ بالعمر للشيوخ او الكهنة الذين اختبروا اسرار الحياة وذاقوا مرّها وحلوها. فانّ مواضيع كهذه لا يُحسن الكلام عنها الّا من حنّكتهُ التجارب او من نظر الى الامور نظراً مجرّداً عن الاهواء والاميال البشريّة وعرف ما لسرّ الزواج من المقام الرفيع في الكنيسة وليس امين الريحاني وجبران خليل جبران ممّن يُستشهد بهما في مثل هذه الابحاث الجليلة . وفي الكتاب بعض صور خلاعيّة لا يليق نشرها

ل.ش

الزواج : السباقات العشر

نشرها بالطبع مقترحها الخوري مارون غصن

بالمطبعة الكاثوليكيّة ببيروت ١٩٢٦ ص ١٧٥

يعرف قرّاؤنا ما اقترحهُ حضرة الخوري غصن على الادباء في امر الزواج بخصوص الاسباب التي تعوق شأن العصر عنهُ والوسائل الى ازالة تلك الموانع . فاجاب كثيرون الى دعوته وحكمت لجنةٌ خاصّة لعشرة من الكتبة بالتقدّم فطبع حضرتهُ هذه السباقات العشر في كتاب مستقلّ وهو يقترح اليوم ان يصوغ احد الكتبة مقالة

مبنيّة على هذه السباقات لا تزيد على عشر صفحات تعطى الجائزة لمن يصيب فيها قصب السبق وجعل آخر موعد هذه المقالة ختام شهر تشرين الثاني

كتاب جواهر المحفوظات

جزءان جمعها ورتّبها عيسى ميخائيل سابا

طُبعا في المطبعة العلميّة في بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٦٤ و ٩٦)

هذه منتخبات ادبيّة شعريّة ونثريّة منها لقدماء الكتبة ومنها للمحدثين فالقديمة كلّها منقولة عن منتخبات سابقة شائعة. واما الحديثة فبينها الغثّ والسمين. ومنها ما هو لكتبة قليلي الدين والأدب كامين الريحاني وجبران خليل جبران وقد ادمج الجامع بينها قطعاً من انشائه. وفي بعض تلك المنتخبات ما يُشعر بروح الماديين كمقالة جمال الموت لجبران خليل جبران او بلغط المتشدقين كمقالة الريحاني امام تمثال الحرّيّة. او ما لا يليق ان يُعرض على الاحداث كقصّة مجرم. اما ضبط الكتاب بالشكل ففيه من الاغلاط ما لا يُحصى عددًا فيكتب مثلاً «إنشودة» و«كِتّان» و «إتركوني» و«إحفُروا» و «جُهَنّم» و «نُسيان» الخ الخ ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ ﴿تقرير ادعاء﴾ رفعهُ الى محكمة الجنايات في لبنان الكبير المحامي نجيب خلف وكيل ورثة المرحوم رؤوف بك مزهر ضدّ قاتلهِ كامل بك فريد جنبلاط. مطبعة الجميل. بيروت ١٩٢٤ (ص ٨٨). هو تقرير بديع يشهد لكاتبهِ بالبراعة التامّة في فنّ المحاماة

٢ ﴿رواية البرّ البنوي﴾ وهي مأساة ادبيّة ذات ثلثة فصول نقلها الى العربية القس توما ايوب الدرياني المخوّلهُ. طبعت في المطبعة البطريركية بمدرسة الشرفة لبنان ١٩٢٤ (ص ٥٨)

شذرات

﴿راهبة المحبة روزالي﴾ دعا الله الى جوارهِ الاخت روزالي راهبة المحبة في ٢٦ من ايلول بعد ان خدمت المرضى والفقراء وسائر المنكوبين مدّة ٣٦ سنةً فكان

لوفاتها صدى حزن واسف في كافّة القلوب ولاسيّما قلوب المساكين والمحتاجين الذين بكوا عليها ولا بكاءهم على اقرب الاقارب . وكان في جملة من حضر دفنها عدد عديد من نساء المسلمين اللواتي شققنَ عليها الجيوب وهنّ معولات صارخات : قد خسرنا أمّنا ونور عيوننا . اسمي انّ في هذه المشاهد يُرى فضل الكنيسة الكاثوليكيّة التي وحدها تنشئ الوفاً وروات من محبّي البشريّة الصادقين الذين يثبتون صحّة دينهم بالعمل وتضحية النفس لا بالطنطنة وشقشقة اللسان . وبينما نحن نرقم هذه الاسطر اذ نُعيت الينا راهبة أخرى خدمت الوطن ٦٦ سنةً بصفة معلّمة ورئيسة عامّة على جمعيّة راهبات قلبي يسوع ومريم نعني بها الامّ مريم فرج صفير من مزرعة كفوديبار توفّاها الله في سلخ شهر ايلول ولعلّنا ندوّن ترجمتها على صفحات المشرق عند سنوح الفرصة

﴿ شناعة دوار هَيُوم ﴾ بارك الله في تلك النهضة الباسلة التي اتّفق فيها المسلمون والنصارى للاحتجاج على اليهودي النجس الذي لم يخجل ان يرشق بلسانه النذل شخص ابن الله الذي يسجد له او يكرمهُ ثمانمائة مليون من البشر . وفي الوقت ذاته نوجه نظر المحتجّين الى رجلٍ آخر اقرب منهم وهو المسمّى بامين الريحاني الذي سبق اليهوديّ وفاه بفمه الوقح بنفس الكلام الذي يحتجّ عليه اليوم النصارى والمسلمون . ومن العجب انّ كثيرين يعظّمون هذا الانسان وكتاباته وهم يلعنون اليهودي وكلاهما سيّان بالتجديف (يراجع العدد السابق من المشرق ص ٧٥٦-٧٥٧)

﴿ تنبيه بشأن الازياء الخلاعيّة ﴾ صدر هذا التنبيه من دار الاسقفيّة المارونيّة الحلبيّة في ٢٩ آب المنصرم يحرّج فيه سيادة المطران الجليل يخائيل اخرس على مقاتلة الازياء المستحدثة التي لا تخجل بعض النساء من المجاهرة بها فيصبحنَ اضحوكةً للعقلاء وملهاةً للاوباش وعثرة للناشئة وخزياً لاهلهنّ ومهانةً للدين . فما احقّ بهنّ ان تُقفل في وجههنّ الكنائس وتُحظر عليهنّ الاسرار ويعمل بهنّ سوط السيّد المسيح الطارد من هيكله كلّ رجس ودنس

﴿ الاحرار والمؤامرة على الشرق الاعظم ﴾ نشر مدير جريدة ماسونيّة في الثغر انهُ قد اكتشفوا في رومية مؤامرة على الشرق الاعظم واحال الى شخصنا الحقير لنُعلمهُ أتعرفُ من هذا الهجوم شيئاً . فنفيد جناب الكاتب انّ هذه المؤامرة ليست جديدة والهجوم غير مقتصر على الشرق الاعظم في رومية بل يرتقي عهده الى اوّل يوم ظهرت

الشيعة الماسونيَّة لعالم الوجود فان الكنيسة الكاثوليكيَّة تحفَّزت لمناصبتها حيثما وجدت آثارها الكفريَّة والخلاعيَّة وليس مؤامرتها تحت جنح الظلام كأبناء الارملة في محافلهم السرِّيَّة بل علناً بموجب امر المسيح الذي وَكل اليها مناهضة كلّ اعمال ابليس ومشايعيه وأعطى ابناءها سلطاناً ان يدوسوا الحيَّات والعقارب (لوقا ١٠: ١٩)

﴿صورة المسيح المزعومة﴾ نشرت مجلَّة صوت الحقّ في عدد آذار (ص ٢٠٥) نقلاً عن جريدة ايطاليَّة (Testimonio) وتبعتها مجلَّة الزهرة (ص ١٧٥) نبذةً تحت عنوان «صورة المسيح» يقال هناك انَّ المصوِّرين لصورة السيد المسيح اخذوا معلوماتهم لرسم ملامحه الكريمة عن «رسالة محفوظة في الفاتيكان ارسلها الى مجلس الشيوخ الروماني في عهد طيباريوس قيصر رجلٌ اسمهُ پوبليوس لونتليوس» . وكانت سبقت الى تدوين هذا الخبر في ٢٨ نيسان ١٩٠٦ جريدة لسان الحال فكتبنا وقتئذٍ في المشرق (٥ [١٩٠٦] : ٤٣٩-٤٤٣) فصلاً طويلاً بيَّنَّا فيه بطلان هذه الرسالة وكلّ ما يختصّ بها فهي بلا شكّ من الآثار المصنوعة التي لا يُركن اليها

﴿تدشين متحف التاريخ الطبيعيّ في تيان تسين﴾ عُهدت الى ابوين يسوعيَّين الاب تيلهار (Teilhard de Chardin) الدكتور في العلوم الطبيعيَّة ونائب رئيس الجمعيَّة الجيولوجيَّة الفرنسويَّة واستاذ المكتب الكاثوليكي في باريس والاب ليسان (Licent) العالم الجيولوجي مهمَّة علميَّة في انحاء الصين ليجمعا في معاملاتهما القاصية المعروفة باورتوس (Ortos) في جهات مونغولية ما هنالك من آثار التاريخ الطبيعي بمساعدة عمَّالها الصينيِّين فتجوَّلا في تلك الاصقاع في شهر السنة الماضية فاكتشفا عدداً لا يُحصى من الظرَّان ومصنوعات البشر الاوَّلين ومن الحيوانات انقديمة المستحجرة الغريبة وضروب النباتات النادرة بعد أن قاسيا من الاتعاب والمشقَّات ما يعجز عن وصفهِ اللسان . ولمَّا رجعا الى تيان تسين نظما تلك الآثار في متحف كبير تدشَّن في شهر نيسان الاخير وخطَب اليسوعيَّان ووصفا رحلتهما امام ارباب الحكومة الصينيَّة والجالية الاوربيَّة يتقدَّمها قنصل فرنسة المسيو سوسين (M. Saussine) وقد اثنى جميع الحضور على اليسوعيَّين وذكروا ما للرهبانيَّة اليسوعيَّة في الصين من المآثر العلميَّة الجليلة منذ القرن السابع عشر من عهد الآباء رتشي وشال وڤربيست وبارنين وغيرهم كثيرين

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد من العراق مَنْ هي المرأة النصرانيَّة المدعوَّة بذات الصليب في اخبار الفرزدق ؟

ذات الصليب

ج هي المعروفة بالحذراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني كانت نصرانيَّة تزين صدرها بالصليب فدُعيت بذات الصليب ورد ذكرها في نقائض جرير والفرزدق ويقال هناك (ص ٨٠٨) انها تدعى ذات الصليب وان اجدادها كانوا نصارى وكذلك ذكروا نصرانيَّة جدّهـا بسطام (ص ٣١٤) ووالدها زيق (٨٢١) خطبهـا الفرزدق وساق مهرها مئة ناقة لكنها ماتت قبل ان يصل اليها . (يُراجع ايضاً الاغاني ١٩ : ١٨)

س وسأل مستفيد ما هو اصل اسم الشهر « ايلول » وما معناهُ

اصل اسم ايلول ومعناهُ

ج ايلول هو اسم احد الشهور البابليَّة وهو يوافق شهرنا في ترتيب الشهور وقد شاع عند كثير من الشعوب الساميَّة وورد على صورته في سفر عزرا اما معناهُ فـلا يزال حتى الآن مجهولاً ولعلَّهُ اسم احد آلهة البابليين بلغتهم الشومريَّة

س وسأل من النبك جناب اسعد افندي نصرالله . متى بطل استعمال الكتابتين الهيروغليفيَّة والمسماريَّة

زمن بطلان الكتابتين الهيروغليفيَّة والمسماريَّة

ج بطل استعمالها في اوائل النصرانيَّة بنفوذ الكتابة الفينيقيَّة وما اشتقَّ منها من الكتابات الهجائيَّة . ولم يحصل ذلك بغتةً بل تدريجاً الى اواخر القرن الاوَّل للمسيح .

س وسأل آخر ما هو اصل اسم فينيقية

اسم فينيقية

ج هو مشتق من اسم « پوني » او « فوني » الـذي كان المصريُّون يطلقونهُ على اهل فينيقـة . ثمَّ رأى اليونان شبهاً بين اسم فينيقية واسم شجرة النخـلة في لغتهم (Φοίνιξ) فزعموا ان معنى فينيقية بلاد النخل

ل . ش

الحبر الاعظم

غريغوريوس الثالث عشر

منشئ الجامعة الغريغورية